الى القارئ

نعم ، ليس الأدب مأساة بالضرورة ، ولا هو أنشودة الانسان تلعب به الأقدار وتعبث به قوى غامضة رهيبة تتعداه وتتحداه !

المأساة ـ في الأدب الاغريقي خاصة والكلاسيكي عامة ، وفي معناها المتعارف ـ قصة كفاح الانسان مع « القدر » وتصوير لشعوره بالعجز أمام القضاء والطبيعة والنفس ، وتشخيص لنفسية الاستسلام والرضا بعد فشل المحاولة وخيبة المسعى وغصة الروح تترجرج بين الوجود والعدم ٠

قد يكافح الانسان ويضطلع بدوره على مسرح الدنيا ، ولكنه يدرك ـ وهو يكافح ـ مصيره المأسوي ويعرف أن « سيزيف » منحدر الى أسفل الجبل مهما بذل وتجاوز قواه واقترب من القمة ٠

وإذن فالقول بأن الادب مأساة إيمان «بالقضاء والقدر» وحد من طموح البشر وتهاون بامكانياتهم وطاقاتهم التى لا تعرف حدودا ٠ إنه يقتضي ـ أو يضمر ـ رؤية كونية تشاؤمية وينفى البطولة الخلاقة ويغفل ما صنعه الانسان وحققه في دنيا العلوم والفنون ويهمل مكاسبه من الكرامة والعزة ٠٠٠ والحرية ٠

ان الادب تصوير أمين رائع لمعاناة الانسان تجربته في الوجود ومجاهدته الأهواء وصراعه مع الكون وطموحه الى التأثير فيه والسيادة عليه ٠

إلا أن الانسان في هذه المنزلة ليس مهزوما دائما ، صريع الغيب ، ضحية العجز ، شهيد الهوى ٠ إنه قد يتعثر في جهاده وتخونه قواه أو يخذله رفاقه أو تتغلب عليه شهواته وقد ينهزم أو يداهمه الموت ٠ ولكنه لا يستسلم باعتباره كائنا اجتماعيا أو ـ بالأحرى ـ مواطنا متضامنا مع إخوانه في الوطن الاصغر والوطن الاكبر ، يتحمل وإياهم عبء وشرف نصرة الحق والخير ويستبسل وإياهم في صنع مصير العالم ونسج خيوط التاريخ البشرى على أساس مزيد من العدالة والمساواة والكرامة والحرية الواعية ٠

قد تنظر الى نفسك فتهولك حقارتها وتطمح الى المدينة الفاضلة فتتبدد أحلامك ويطغى عليك الواقع الذى رمت تغييره ! فتتسلى عن ذلك كله بقولك إنها مأساة الانسان في الكون !

إلا أنك لو ضممت جهودك الى جهود إخوانك ونظرت فيما حققته الانسانية وفيما هى بصدد إنجازه لرجعت لك الثقة في النفس وغمر قلبك الايمان بالانسان ولوجدت في صراعه ـ غير الميئوس منه مسبقا ـ ينبوعا لتجاوز الذات وتحدى الشر واللامعقول والعبث ٠٠٠ والتأثير في الحياة وفي واقع الناس (لو تعلقت همة ابن آدم بما وراء العرش لناله) ٠

فاذا صور الأدب الانسان في هذا الكفاح المضنى المتفائل وتغنى بانتصاراته على نفسه ، وشخصه وهو يبنى مصيره بفكره وجوارحه ويغالب الصعاب ويتجاوز ٠٠٠ المآسي ، كان ملحمة بحق ٠

الفكر

غدا تطلع الشمس

شعر : جعفر ماجد

لَسْتُ أخْفِي عَنك أسرَار الهوَى   أيّ سرّ بَيْنَنَا لَمْ تَعْرِفِيهِ
كُلَّمَا مَانَعَنِي فِيكِ الدّجَى   أَسْبِقُ الصّبْحَ الّذِي أَلْقَاكِ فِيهِ
فَأرَى عَيْنَيْكِ فِي ثِقْلِ الكَرَى   وَاحتَيِ أَمْنٍ وَأَحْلاَمٍ وَتِيهِ
أَيّ شَيْءٍ فَاتَنَا مِنْ أَمْسِنَا   كل شَيْءٍ فِي الهَوَى عَلَّمْتِنِيهِ

كُنْتُ إنْ طَالَ عَلَيْنَا السَّفَرُ   وَبِقَلْبَيْنَا اسْتَبَدّ الضّجَرُ
يَزْرَعُ اللَّيْلُ بِدَرْبِي قَمَرًا   فَأَرَاهُ دَمْعَةً تَنْحَدِرُ
وَمَعِي حُزْنِي وَأَشْوَاقِي إلَى   نَجْمَةٍ فِي بَيْتِهَا تَنْتَظِرُ
سَهِرَتْ لَيْلَتَهَا خَائِفَةً   مِنْ غَدٍ يُخْفِيهِ عَنَّا الْقَدَرُ

كُلَّمَا يَهْمِي بِعَيْنَيْكِ المَطَرْ   وَأرَى الاحزَان تَجْرِي كالسَّحابْ
وَعَلى وَجْهِكِ آثَارُ السّهَرْ   وَتَعَابِيرُ الاسَى والإكْتِئَابْ
مِثْلَ مَلاّحٍ بِهِ طَالَ السّفَرْ   وَذَوَتْ أيّامُهُ خَلْفَ الضّبَابْ
يَصْرَخُ الْقَلْبُ بِصَدْرِي المُستعر   لَيْتَنِي أَحْمِيكِ مِنْ هذا الْعذابْ

آه لَوْ تَدْرِينَ يوماً مَا ألاقِي   مِنْ عَذَاب صَامِتٍ مُرّ الْمَذَاقِ
كُنْتُ أُلْقِي لَكِ أسْرَارِي إذا   خِفْتُ أنْ يَخْدعنِي أصْفى رِفاقِي
فَتُعِيدِينَ لِقَلْبِي أَمْنَهُ   وَتَشُدّينَ إلَى الدّنْيَا وِثَاقِي
هَا أنَا الْيَوْمَ عَلَى مَا بَيْنَنَا   أوثِر الصّمْتَ وأفْنَى في احْتِرَاقِي

سوفَ سأَرْثيك بِدَمْع لأُريهِ — عِنْدَمَا يَحْرِمُنِي مِنْك الزّمانْ
وَأرَى وَجْهَكَ فِي كُلّ الوُجُوهِ — وَأرَى طَيْفَكَ فِي كُلّ مَكانْ
وَأمُدّ الكَفّ للدّهْرِ السَّفِيهِ — طَـالِبا مِنْهُ لِقَلْبَيْنَا الأمَانْ
وَأنَا أدْرِي بمَا لاقَيْتُ فِيهِ — أنّنِي فِي حَرْبِهِ كُنْتُ الجَبَانْ

جَبْهَتِي عَفّرْتُهَا قبْلَ انْهِزَامِي — خَوْفَ أنْ يَغْتَالَك الدّهْرُ أمامِي
لاَ تَلُومِينِي عَلَى جُبْنِي فَمَا — أهْوَنَ اللّوْمَ عَلى قَلْبِي المُضَام
واتْرُكِينِي لِخَيَالاتِي الّتِي — حطّمَتْنِي ، ثمّ لمْ تَرْحمْ حُطامي
وَاسْأَلِي عَنّي غدا في غُرْبَتِي — واقْبَلِي – مَهْما تَنَاءيْنا – سلامِي

أنَا لَمْ أخْتَرْ مَصِيرِي أوْ مَصِيرك — لاَ وَلاَ كُنْتُ على الدّنْيَا نَصِيرَكْ
قَدَرٌ أعْمَى تَنَاهى ظلمُه — عِنْدَمَا أطْفَأ في عَيْنَيّ نُورَكْ؟
دَمِيَتْ كَفّايَ مِنْ شَوْكِ الاسى — مُنذُ أنْ أهْمَلْتُ فِي حَقْلِي زُهورك
لَيْسَ لِلْكَفّ الّتِي أدْمَيْتُهَا — مِنْ ضِمَادٍ رَاحِمٍ إلاّ شُعُورَكْ

رُبّمَا نَنْسَى تَبَاشِيرَ الرّبِيعِ — وَجُلُوسِي بَيْنَ أزْهَارِ الحديقَهْ
وَانْتِشَائِي بِشَذَا العطرِ الرّفِيعِ — وَابْتِهَاجِي بِالغُلالاتِ الرّقِيقَهْ
رُبّمَا نَشْرَبُ مِنْ كَأْسِ الدّموع — رُبّمَا نَهْرَبُ مِنْ وَجْهِ الحَقِيقَهْ
فَإذَا مَا كَان لاَ يُجْدِي رُجُوعِي — فَصَدِيقُ الامْسِ لاَ يَنْسى الصّدِيقه

سَامِحِينِي إنْ تَكَرّتْ عُيُوبِي — وَاغْفِرِي لِي كُلّ ذنبٍ من ذنُوبِي
لَيْسَ يَشْكُو البَحْرُ مِنْ أمْوَاجِه — حينَ يَطْغَى المَوْجُ بِالرّيح الغضُوب
كُنْتُ فِي آفاقِ عُمْرِي مرْفَأ — يَنْفضُ الاحزَانُ عنّي في الغُرُوب
جَبْهَتِي تَمْسَحُهَا أنْسَامُهُ — وَشِفَاهُ الصّمْتِ تَمْتَصُّ شُحوبِي

إنْ أتَى يَوْمـا بِأخبارِي صَدِيــقٌ   فَاذْكُرِي كَيْفَ الْتقيْنا بصَديقي
يَوْمَ كُنَّا بَيْن أحْضَانِ الْهَـوَى   نَتَسَاقَى خَمْرَةَ الْحُبِّ الْعتِيقِ
لاَ تُـرِيقِـي دَمْعَـةً غَـالِيَــةً   واغْرِسِي السِّكينَ في جرْحِي العميق
وَاتْـرُكينِي فِي طَرِيقِي هَـائمـاً   لاَ تُعِينِينِي عَلَى هَـمِّ الطَّرِيـقِ

خَبِّـرِينِي عَنْكِ أيَّامَ غِيَــابِـي   وَاسْألِي إنْ جَارَتِ الايَّامُ مَا بِي
أَوَمَا كُنْتِ إذا حَلَّ مُصَــابٌ   تَسْهَرِينَ اللَّيْلَ مِثْلِي في مُصَابي
وَتَنَامِينَ على صَدْرِي كَمَــا   يَسْتَرِيحُ الطَّيْرُ في أفياءِ غَــاب
فَإذَا هزّك لِلُّقْيَـا حَنِيــن   لاَ تَظُنِّـي أنَّنِـي أغْلَقْتُ بَابِي

ج. م.
15 ماي 1969

بعد صدور

المختار من شعر الوزير

صدر عن الدار التونسية للنشر

ينبوع لا يجف

للشاعر

أحمد المختار الوزير

وقد أهدانا ديوانه مشكورا وهو مما لا شك فيه سيثرى المكتبة التونسية أيما ثراء .

عوائق خاصة بالشعر العربي *

بقلم : عبد العزيز قاسم

فى الوقت الذى تحتل فيه القصة رغم اهتزازاتها واضطرابات اتجاهاتها ، مكان الصدارة فى الادب العالمى ، وفى الوقت الذى اخذ فيه نجم الشعر فى الافول وكثر التساؤل عن مصيره وعن احتمال موته شيخوخة شانه فى ذلك شان كل مادة حية تولد وتنمو ثم تفنى ، نرى ان الشعر فى العالم العربى عموما وفى المغرب العربى خصوصا يتزايد الى حد التضخم .

هذا الوضع ينبغى ان يقلق وهو يقلق فعلا الكثير من المثقفين العرب الذين يرون فى ذلك دليلا على ان نمو الادب العربى يجرى بصورة غير طبيعية ، وعلى ان عددا كبيرا من الادباء العرب مازالوا يتجنبون التاليف الذى يحتاج الى طول النفس ومعاناة الخلق ، وانه لمما يزيد من شدة هذا القلق ان نلاحظ ان هذا الانتاج الشعرى الغزير يفتقر الى الجدة والطرافة ، ويكثر فيه الحشو واللغو ، فلا يفرض نفسه فى معظم الاحيان الا بالكم .

ويحق لنا اليوم ان نتساءل عما اذا كان الشعر هواية متاصلة فينا ام هو مجرد اتباع تقاليد عريقة فى القدم حولت اكثر الشعر الى نظم على مدى احقاب طويلة من التقليد والانحطاط .

ان هناك بلا ريب تقاليد بالية معقدة اثبتت فى تفكيرنا وسلوكنا جذورا عسيرة الاستئصال ، فمجتمعاتنا المحافظة الى حد التزمت لم تشرع الا منذ الاستقلال فى محاولة التخلص من كل الاثقال الميتة الموروثة التى تعوقها عن السير • وهناك ايضا طبيعة اللغة العربية التى اشتهرت باعطائها كيمياء الكلم مادة ثرية ، شهرة اثرت فى كتابها فلا يكاد ينجو منهم الا القليل من اغراء الكلمة المنمقة والزركشة اللفظية ولو كانت على حساب الفكرة .

كل هذه العوامل من شانها ان لا تقدم للشاعر الناشىء نماذج وامثلة خلق تتجاوز نطاق الشكل وتطلق خيال الشاعر وتعمق تاملاته وتجدد رؤياه الكونية.

لقد سمى القرن التاسع عشر عصر النهضة بالنسبة للعالم العربى . ولكننا

(*) دراسة القيت فى مؤتمر ادباء وكتاب المغرب العربى بطرابلس من 19 الى 22 مارس 1969 •

لو تاملنا من كل ما قيل من شعر منذ بدء النهضة الى فجر هذا القرن لما لمسنا سوى ضآلة النفس الشعرى فى ذلك النظم المتحذلق العتيق اذا ما قيس بالابعاد الشاسعة التى احاط بها الشعر الغربى مثلا فى ذلك الوقت . بل وقد راينا خلال الربع الاول من هذا القرن شعراء مجلبى الافكار بعباءات متحفية ، يتجولون دونما احساس بالغربة فى عالم يتاهب لتفجير الذرة وغزو الفضاء ، وخلال الحرب العالمية الاولى ، وعلى ايقاع قصف المدافع وازيز خفافيش القرن العشرين ، لم يكن من النادر سماع شعراء عرب يتغنون بمعارك الرماح والسيوف .

كانت هناك قصائد فى الطبيعة ولكنها خالية من كل اثر لاندهاش الشاعر ذلك الاندهاش الذى هو شرط اكتشافه اسرار الكون ومعانقته جوهر الحياة ، والجمال المطلق ، وكانت هناك قصائد فى الغزل والمرأة ولكن جميع الحبيبات فيها نسخ واحدة من مثال واحد ، عيونهن دائما غزلانية ولحاظهن دائما رماح ، وخدودهن دائما وردية وشفاههن دائما قرمزية وابتساماتهن دائما لؤلوية . وكانت هناك قصائد فى المديح وفى الرثاء وفى غيرهما من المناسبات ولكنها محشوة فى الغالب « بكليشيات » ومبالغات مزرية .

لقد ظل الشعر فى المغرب العربى بصفة اخص ، حتى الثلاثينيات تقريبا قصائد مفككة المعانى ، نظرة الشاعر فيها تفصيلية فكانه يرى الكون من خلال مجهر ، بينما الفن رؤيا كونية تاليفية شاملة تحيط بابعاد الموضوع وتكشف عن الروابط الخفية التى تصل الاشياء بعضها ببعض .

ولقد حاول الشعر الحديث ان يوسع من ابعاده وان يشمل برؤياه جوهر الوجود والعدم ، ولكن عاقه فى تطوره افتقاره الى حركة نقد عصرى مركز ، فقد ظل النقد العربى الى الامس القريب نقدا شكليا يجعل من الافكار والمعانى ملكا مشاعا للجميع يبرر سرقتها ان لم نقل يشجع عليها بشرط ان يصوغها الشاعر فى قالب جديد . ان عدم انبعاث مدرسة نقد حقيقى هو الذى جعل الشعر التقليدى المتزمت يتعايش الى اليوم مع الشعر الحديث فى جو يسوده سوء تفاهم ودى .

ولا يفوتنا ان نذكر ان مناهج التعليم الثانوى مسؤولة الى حد بعيد عما يتخبط فيه الشعر الآن من اضطراب وتقلقل وحيرة ففى مادة الشعر العربى لا تقدم برامج التعليم الا نماذج لم تعد لها اليوم الا قيمة تاريخية ، لذلك نجد كثيرا من الشباب المتعلم المزدوج الثقافة يكادون لا يستطيعون ان يذكروا لنا الى جانب بودلير ورمبو وابولينير سوى شعراء المعلقات ومن شابههم بدون ان يتفطنوا الى الهوة الزمنية والفكرية السحيقة التى تفصل بين اولائك وهؤلاء .

اما معرفتهم للشعر العربى الحديث فترجع فى معظم الاحيان الى صدف المطالعة والمجهود الخاص .

لذلك كان لا بد من اعادة النظر فى جميع هذه المسائل حتى يتجه النقد وبرامج التعليم نحو ابراز معالم الفكر الحديث وبيان حدوده وأبعاده . ثم ينبغى ان نتدارك امرا خطيرا نكتفى هنا بمجرد الاشارة اليه ، هو موضوع الاصالة والتفتح اللذين لا يمكن الفصل بينهما فى نظرتنا لتركيز شعرنا على اسس ودعائم عصرية ، اما من حيث الاصالة فانه ينبغى علينا ان نعطى شعرنا ملامح خاصة مستمدة من جميع مقومات شخصيتنا التاريخية والاجتماعية ونظرتنا الذاتية للكون ولكن بدون الانزواء فى نطاق القوميات الضيقة والاكتفاء الذاتى او تحويل الشعر الى مادة فلكلورية ، فكل تيار من تيارات الادب والفكر لا يكون متاصلا وصادقا الا اذا اتجه مهما اختلفت عيونه وتباعدت مناهله ، الى مصب واحد هو محيط الثقافة الانسانية الشاملة .

واما من حيث التفتح فانه من واجبنا ان نسرع بعملية ترقية ادبنا الى مستوى الادب العالمى وذلك بمقاومة نوع غريب من التخلف . فالدارس للتأثيرات الأجنبية فى الادب العربى يجد باستمرار ظاهرة البطء والتاخر . فالمدارس والحركات الادبية كالرومانطيقية والواقعية والرمزية التى اثرت فى ادبنا تاثيرا ملموسا لم تصل الينا فى ابان انبعاثها بل انها لا تصلنا عادة الا بعد ان يكون قد تهيات للانقراض فكانما هى تلتجا الى الادب العربى لجوءا لتلفظ انفاسها الاخيرة بين ذراعيه .

ان من تتبع حركة الشعر فى العالم يجده يتطور بسرعة عجيبة ، وهو مع ذلك يجتاز ازمة لم يعرف لها مثيلا . ولقد قال احدهم : « من خصائص الحضارة الحديثة ان اية كلبة تضرب الرقم القياسى فى مباراة عدو مع الكلاب تحصل على شهرة تفوق شهرة اكبر شاعر » . ولهذه الازمة وجوه ومظاهر متعددة . فهناك من يتهم التعليم الذى يعطى الاولوية الى العلوم ويقلل من شان الشعر بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، وهناك من يتهم النقد لانه لا يتعرض الى الشعر الا بصورة هامشية وهناك الناشر الذى يتمنع من طبع الدواوين الشعرية لانها لا تشكل عملية تجارية رابحة ، حتى قال بعضهم : ان من ينشر ديوانا شعريا يكون كمن القى بوردة فى اخدود ووقف ينتظر الصدى ، وهناك من يتهم الجمهور الذى اصبح يفضل المتع الرخيصة على المتع الجمالية ، وهناك من يتهم الشعر نفسه ويجعله المسؤول الاول عن قطع صلته بالجمهور لكثرة ما يلتصق به من زيف التجربة ، او لكثرة توغله فى الاغماض واعمال الفكر وتعمل الفن وهناك بالطبع طائفة من المتعلمين الذين يتصورون ان العلم وحده كفيل بالكشف عن اسرار الحياة واعطائها مفهوما حقيقيا . بينما الانسان لا يتمكن من

ادراك الحقيقة عن طريق العقل وحده ، بـل لا يمكن ان يدرك الحقيقة مـا لم يستنجد بعاطفته ووجدانه ولقد صدق من قال ان هناك اناسا قد بلغوا اعلى مراتب العلم والذكاء ولكنهم لم يزالوا من حيث العاطفة فى العهد الحجرى .

كل هذه المشاكل التى يعانيها الشعر الغربى يعانيها الشعر العربى ايضا مع اختلافات جزئية من حيث الحدة ولكن الشعر العربى يقاسى علاوة على ذلك علة ولد بها اذا جاز هذا التعبير ·

يقول المستشرق «وايل» «Weil»: «العربية هى اللغة السامية الوحيدة التى نجد فيها علم عروض حقيقى ولقد انفق النحاة كنوزا من المهارة والمنطق لاحداث نظام عروضى فى منتهى الدقة » · وفى زعمنا ان مأساة الشعر العربى متأتية من هذه الدقة العروضية المتناهية ·

فصرامة البحور ، وقوالب التفعيـلات الجـامدة التى لا تلينهـا الزحافـات الجائزة الا لماما ، تجعل الشكل يتفوق على المضمون الامـر الذى يوفر صياغة كثير من الكليشيات والتعابير الجاهزة توضع تحت تصرف الجميع، فكان الشعر لم يكن سوى حقل تجرى فيه مباريات واسعة لرياضات كلامية .

لقد حاول كثير من الشعراء العرب عبر القرون والعصور ان يعبروا عن افكار سامية وان ينهضوا بالشعر الى مستوى الفن الانسانى الاول . وان يسمحوا لخيالهم الخلاق بالتدفق،ولكنهم اصطدموا كل مرة بصعوبة داخلة فى تركيب التفعيلة العربية تضطرهم الى الالتواء فى التعبير ، والى تنقيح افكارهم ومسخها عند اللزوم واستعمال كلمات من ارخص الحشو والترقيع وبالرغم من تطور محتوى القصيد العمودى الموحد القافية فقـد ظـل الشغل الشاغل عند الشاعر هـو القافية ، قافية طيعة طورا وعصية متكلفة اطوارا حتى اننا لو اخذنا قصيدا عموديا مطولا قافيته الف وحاء ، لا بد ان نجد فيه : صباح ، رياح ، جراح رواح ، سواء كان القصيد مدحا او هجاء ، غزلا او تاملا فلسفيا .

بيد ان مـا دخل من تنقيحـات وتجديد على الاوزان الشعـرية منذ ابتداع الموشحات الى التجربة المهجرية قد قضى على كثير من التعمل والتكلف ومجانية القافية . ولكن المشكل الاساسى لم يحل . فقد بقيت حركة التجديد تخبط فى مكانها مدة طويلة وتولدت عنها كليشيات وتعابير جاهزة جديدة ظل يجترها الاتباع والمريدون . فظهرت من جـديـد ضرورة تحرير الشعـر العـربى من تضييقات البحور وتمخضت التجارب الاخيرة عن ميلاد الشعر الحر .

ولعله من المفيد ان نذكر بان ما يتميز به الاسلوب الجديد هو رفض البحور والتمسك بالتفعيلة يستعملهـا الشاعر حسب مشيئته فوقـع تعويض البيت

القديم ذى المصراعين ببيت غير مضبوط الطول اذ يتمطط فيه عدد التفعيلات ويتقلص حسبما يتطلبه المعنى المراد التعبير عنه . فالصورة او الفكرة التى تحتاج الى تفعيلة واحدة نقف بها عند حدود تلك التفعيلة ونشكل بها بيتا مكتملا يجوز ان تعقبه ابيات ذات تفعيلتين او ثلاث او اكثر وفقا لمتطلبات المعانى . وهذا الشعر يستعمل القوافى كذلك ، ولكنه يستعملها بمرونة كبيرة فهى تتنوع وتتعدد وقد تتلاحق وقد تتباعد فى غير نظام مسطر . والملاحظ ايضا ان الشعر الحر بحكم تقيده بالتفعيلة لا يستعمل الا تفعيلات البحور الموحدة التفعيلة وهى سبعة : الرمل ، الهزج ، الرجز ، الكامل ، المتقارب ، الوافر ، والمتدارك .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات فان الشعر الحر ليس حرا باتم معنى الكلمة . وبالرغم من ذلك فان عددا كبيرا من الادباء العرب شنوا عليه حملة شعواء وذهب بعضهم الى اتهام انصار الشعر الحر بانهم من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون عملاء لتيارات مذهبية خارجية ترمى الى النيل من روح العروبة بمسخ ملامح شعرها الذى هو اعز ما يعتز به أدبها .

ان ثقل الماضى لم يضغط على حظوظ أمة بقدر ما ضغط على حظوظ الامة العربية ، وبالرغم من ان المثقفين العرب قد عاشوا فى قرارة انفسهم انهيار قيم الجدود تحت صدمة واقع جديد تفجر فى وجهها فجاة بعد سبات القرون فان كثيرا منهم قد جعل الحنين قيمة تعويضية .

هناك من يدافع عن الشعر التقليدى فيفخر بكون بحوره متركبة من عشر تفعيلات متنوعة ، فى حين يقوم الشعر الغربى مثلا على مفردات ايقاعية واحدة هى « الارجل » او المقاطع ، نعم ان اوزان الشعر العربى اثرى نغما واحكم ايقاعا من سواها ولكنها تدفع ثمن هذا الاحكام غاليا اذ من المعلوم ان التفعيلة لا تتسع لجميع الصيغ اللغوية .

ويدافع عن الشعر الحر انصاره فيقولون هل هناك قصيدة تقليدية بامكانها ان تكون كالشعر الحر مرونة فى ايقاعها وموسيقاها فى لهاثها ونفسها المتقطع حينا المتمدد المنساب حينا آخر على نسق ما يجول باخيلتنا من صور ورؤى واندفاعات وانطباعات مختلفة تتطلب ايقاعات مختلفة . انه من البديهى ان الشعر الحر هو وحده الذى يعطى النغم المناسب والحركة الملائمة لما نريد التعبير عنه ، فهو يجرنا ، يأخذنا ، او يهدهدنا دون رتابة متى اراد وكيفما اراد وبذلك اصبح الشاعر يحس بأنه قد سيطر على الشكل واخضع اللغة وتجنب الحشو وبأنه يستطيع ان يتفرغ الى معانقة الوجود واعادة النظر فى القيم والاشياء حتى يكون الشعر تجربة انسانية فى اشمل مدلولات الكلمة لا تجربة لفظية مفرغة .

والى جانب المعارضين للشعر الحر والمتحمسين له ، يوجد المترددون ، من يقولون : « نعم ، ولكن » من يخشون ان يصبح الشعر الحر ملاذا للشعر بعرين الذين اطردهم سدنة المعبد القديم لعجزهم عن اتباع الطقوس . والواقع يثبت ان صرامة القواعد لم تكن في يوم من الايام حائلا دون تضخم عدد النظامين الذين ليسوا من الشعر في شيء ٠

وهناك طائفة اخرى من الادباء أو الذين لهم صلة وثيقة بالادب كالاساتذة والمدرسين لا يريدون اتخاذ موقف ، بل يرغبون في التوفيق بين مختلف النظريات والاتجاهات فيقولون ان القصيد الجيد سواءكان عموديا او حرا هو الذي يوفر لنا متعة جمالية ويبعث فينا الحماس اكثر من غيره . ومن الواضح ان هذه القاعدة ترتكز على خطا منطقي اذ لا ينبغي ان نوازن الا بين الاشياء التي هي من جنس واحد ، فلا يجوز ان نقارن بين قصيد في الغزل واخرى في السياسة ، كما لا يجوز ان نقارن من الوجهة الشكلية بين جرس قصيد عمودي وجرس قصيد حر . وعلاوة على ذلك فان الاحكام التي اساسها التأثر الشخصي لا يمكن قبولها الا من بسطاء القراء ومستهلكي الادب ٠ اما النقد الجديد بهذه التسمية فلا يجوز له ذلك .

ان مواقف الهجوم والدفاع ومواقف الحذر والاعتدال المتقلقل ، لا تفيد اية قضية مطروحة على بساط الدرس ان دور النقد قد يكون في تحليل الوضع وتقدير النتائج بدون تحيز عاطفي ، ولعل السؤال المهم الذي ينبغي ان يطرحه النقد وان يحاول الاجابة عنه هو هل الشعر الحر دواء ام مسكن بالنسبة لما يشكوه الشعر العربي من صداع وتصدع ، هل هو حل حاسم ، ام حل وسط لا يمنع ظهور المشكلة من جديد ؟

ونحن لا نعتقد ان الشعر الحر حل نهائي ما دام يعتمد التفعيلة التقليدية وهي التي ترفض كما اشرنا اليه انفا عددا من التركيب والصيغ نذكر منها على سبيل المثال اسم الفاعل من الثلاثي المجرد المضاعف ، وذلك لالتقاء الساكنين فيه . فلا نستطيع مثلا ان نقول في الشعر الموزون : «نظرات حادة» .

هذا ومن جهة اخرى فان الفاصلة الصغرى المتكونة من سبب ثقيل وسبب خفيف في تفعيلتي الكامل والوافر (متفاعلن ومفاعلتن) كما ان الزحاف الخبن الذي يحول تفعيلة الرمل فاعلاتن الى فعلاتن لا يقبل كلمة او مقطعا يدخل في تركيبه اكثر من ثلاثة احرف متحركة متلاحقة كقولنا « عربة » فصيغة « فعلة » لايمكن صبها الا في الفاصلة الكبرى المتاتية من زحافي الخبن والطي الداخلين على تفعيلة الرجز فتتحول « مستفعلن » الى « متعلن » ومن اجل هذه المرونة يبالغ الشعر الحر في استعمال تفعيلة الرجز الى درجة الاضجار . ومن الملاحظ

انه لا يوجد بيت عربى واحد قديم او حديث ، تقليدى او حر يحوى تركيبا تتلاحق فيه خمسة احرف متحركة مثل « عربتك » . واعتقادنا انه ما دامت مثل هذه التضييقات مستمرة فان الفيض الشعرى يظل الى حد ما مختنقا .

وهنا يحق لنا ان نتساءل عما اذا كانت هناك امكانية ايجاد حل حاسم وهناك بالطبع الشعر المنثور وهو الشعر الحر باتم معنى الكلمة اذ هو متخلص من جميع القيود منساب مع كل تموجات الحلم الشعرى ، ولكن ليس اعسر من انتاج قصيد منثور ناجح ، فاعراضه عن الايقاع يفقده عنصرا اساسيا من عناصر التاثير . ولقد قال نيتشة : « يركب الشاعر افكاره عربة الايقاع لانها لا تستطيع ان تسير راجلة » .لكن بامكان الشعر المنثور ان يعوض نغم الايقاع بتنسيق الصور وباختيار الالفاظ التى تحمل فى ذاتها شحنتها الغنائية . ولكن معظم الشعراء العرب لا ينزلون هذا الضرب من التعبير منزلة الشعر الحقيقى ، لا لنزعة المحافظة التى يتميزون بها فحسب بل ولكون التجارب التى وقع القيام بها فى هذا الميدان — فى مجلة شعر — مثلا ليست مقنعة .

فهل تتحتم محاولة خلق اوزان جديدة ؟ قد يكون ذلك امرا ميسورا ومفيدا للغاية . ولكننا نشك فى ان تسمح عبقرية العربية باعداد نظام عروضى مختلف فى جوهره مع النظام الحالى .

وفى انتظار الجديد ، لا بد من ان نلاحظ ان الشعر الحر لا يفتا يزاحم الشعر التقليدى ويستمر فى توسعه . ولكن يبدو ان فتوحاته هى التى ستعجل بهزيمته ، اذ ليس من الصعب ان نرى انه يحمل فى طيات نموه بذور فنائه . فاتباعه الصغار وهم الاغلبية من بين مريديه الا يفكرون البتة فى دراسة العروض والاوزان بوصفها خير اداة لامتلاك روح الايقاع وخير منطلق للبحث عن جرس جديد . وليس من باب الصدف ان يكون احسن ما قيل من شعر حر الى الآن هو من انتاج الشعراء الذين برعوا وأبدعوا فى الشعر التقليدى .

هذه جملة ملاحظات واستنتاجات استخلصناها من البحث والدرس ومن التجربة الشخصية نبسطها فى هذا المؤتمر الذى نامل ان يكون مبعثا لشخصية ادبية مغربية لها خصائصها ومميزاتها ولها وزنها فى تطور الادب العربى والمساهمة الفعالة فى النهوض به وتعصيره . لقد ظل المغرب العربى زمانا طويلا لاحقا لا سابقا فى اتجاهاته واختياراته وقد آن له ان يرفض التبعية وان يبحث عن اصالته وطرافته وان يحاول ان يلعب دورا طلائعيا . وفى اعتقادنا انه يمتلك اليوم الامكانيات والمواهب الكافية للاضطلاع بهذه المسؤولية .

ع. ق.

ذكريات الساحل اللازوردي *

شعر : نور الدين صمود

« تَلَفَّتَ طَـرْفِي لِتَوْديعِهـــا
فَلَمَّـا تَـوَارَتْ تَلَفَّتَ قلبِي »

وَظَـلَّ يُعِيدُ خيَـالاتِهـا
ويـذكُرُ أعذَبَ أيَّـام حُبِّي

وظَـلَّ يَعِيشُ مَعَ الذكـريَـات
ويَحْسبُهَـا مَـا تزال بقربِي

ورحتُ أسِيرُ بِدَرْبِ الضَّبَـاب
وشمْسُ الصَّبَاحِ تُنوِّرُ دَرْبِي

وكَـاد التَّـأوّه يُدْمِي ضُلُوعي
وكَـانَت دموعِي تبلِّلُ هُدْبِي

* * *

وكـانَت على الرمل فِي ثَـوْبِهَـا
فيـا للحرير يَضُمّ الحريرْ

بألْـوانـه يتَحَلَّى الرّبيـع
وفِي عطره تَسْتَحِمّ الزّهُور

(*) هذا القصيد من ديوان للشاعر نور الدين صمود سيصدر فى الأيام القليلة الآتية وهو بعنوان [رحلة فى العبير] .

يَجُرّ الشعاعُ عليها خيوطا
لُجَينيّةَ اللّوْنِ مثل الاثيرْ
ويختلِسُ الصّيفُ مِنْ جِسْمِها
صَفَاءَ الضّيَاءِ وَحَرّ الهجير
ويبتسِمُ الضّوءُ فِي الرّكبَتيْن
كَدَفْقِ الشُّعَاع بأنبوب نُور

* * *

وتَشْهَقُ فِي شَفتيها الحقُول
ربيعيّةَ اللّوْنِ كالاقحوان
وتَحتَارُ فِي شَعْرِها كفّها
فتَهتَزّ مثل الغصون اللّدان
ويسألنِي العطر عن سرّها
وتغرقنِي المقلتَان اللّتان ...
تَفِيضان سحرا ونُورا شَهِيّا
وَيَسْطَعُ فِي شَفَتَيْهَا الجُمان
وأشعر أنّي بكونٍ غريب
كَأنّي اخترَقتُ حُدُودَ الزّمان

* * *

على كَتِفَيْهَا سنَابلُ دُرّ
يُداعِبُهَا نَظَرِي الحَاصِدُ

وأمْـوَاج شمس على مقلتَيهـــا
يُبعثـرُهـَـا طـرْفُهـَـا الشَّـارِدُ
وتلْعَـقُ نَظْـرَتُهـَـا سُمْـرتـي
وطـرْفِي لشُقْـرَتِهـَـا عَـابِـدُ
وفِي نَـاظِرَيْهـَـا نِدَاء غَـرِيب
يُـؤكـّدُهُ صدْرُهـَـا النَّـاهِـدُ
وكـانت على الرمل تصطَـادُنِـي
وقـدْ خِلْتُ أنّي لَهـَـا صَائِدُ

* * *

وألْقَـتْ إلى الرّيح فُسْتَانَهـَـا
فَأقْبَلَ يَمْشِي كَمَشْيِ الظِّبَـا
كَـرِيشِ الطَّـوَاوِيسِ ألْـوَانُـه
فقلتُ لهُ : مَـرْحبا مَـرْحبَـا
وقُلتُ لَهـَـا : حلوتِي أقْبلِـي
فثَـوْبُكِ نَحْـوَ ثِيَـابِى حَبَـا
تَجمَّـع فيه الرّبيـعُ الضّحُـوك
ولَـوْنُ الشّبَـابِ وسِحْـرُ الصّبَا
وتـزْهُـو مع الصّيفِ أزهـارُه
وتبْكِي لِفَقْـدِ الزّهُـورِ الرّبَى

أزَاحَتْ عن الشَّمْعِ أثوَابَهَـا
ولاحتْ على الرّمل تمثال عاجْ
تُعَـانِقُـهُ قِطْعَتَـا سُنْـدسٍ
وقـدْ ثَـار فيـهِ الدّلال ومَـاج
تُسَيّجُ فتنتهَـا بِـالحَـرِيـر
وعينِـي تحطّمُ ذَاك السِّيَـاج
وفِي جسمِهَـا العسجديّ الصقيل
صِراع ، وفِي مُقْلَتَيْهَـا هِيَاجْ
فـأعشَقُ فِي نـاظريهَـا السَّمَـاء
وأعبُدُ فِي جسمهَـا الإعوجَاجْ

* * *

وسِرْنَـا على الرّمـلِ فِي نشْوةٍ
كَـأنَّـا صديقَـانِ منذ الصِّغَـرْ
أصَابِعُنَـا فِي اشتِبَـاكٍ رفيقٍ
وكَفِّـيَ تَنْسجُ فَجْـر الشعَـر
وكـادتْ شمـوعُ اليـديـن تـذُوب
وكـادتْ نُهـورُ الضِّيا تنهمـر
ولاحتْ على الرّمل تمثَـالَ حُسْنٍ
جميـلا جميلا يبثّ الخـدَرْ

فَتَغْمُرُنِي نَشْوَةَ لا تُحَدّ

كَسِحْرِ الشَّذَى فِي مطاوِي الزهَر

* * *

ولَمَّا مضتْ نَحوَ مَالستُ أدرِي

وضَاعَ بضَيْعَتِهَا نصْف عمْرِي

« تَلَفَّتَ طَرْفِي لتوْدِيعِهَا

فلَمَّا تَوَارَتْ تَلَفَّتَ فِكري (1) »

يحلِّقُ منطلقا إثْرَهَا

ولا شيءَ غيرُ الْخيَالات إثْرِي

وحَامتْ بعينِ خيالِي رُؤَاهَا

فأحسبهَا كخيالاتِ سِحْرِ

تَرِفُ بأعْمَاقِ أعْمَاقِ روحِي،

ومَجْرَى دمَائِي ، كَمُدْمِن خمر

كان ــ صيف 1963

(1) هذا البيت ومطلع القصيدة مأخوذان من قول الشريف الرضى :

وتلفتت عينى فمذ خفيت عنى الطلول تلفت القلب

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

• فى حياة كل شعب وكل فرد قمم شامخة وسهول رتيبة ووهاد غائرة مظلمة ترى أيها أقرب الى الحقيقة وأيها أحكم قياسا ؟

★

• الموت والخلود صنوان • هذا من ذاك • لا انفصام بينهما •

★

• من الاصوات ما يلقنك أحسن درس فى الفصاحة • أصوات تـزين اللغـة وتزيدك عشقا بها إذ تذيقك ـ فضلا عن جمال اللحـن ـ نكهـة الألفـاظ والحروف شهية لذيذة حال انبثاقها • فاذا أنت فى نشوتين ـ بين تحليل وتأليف ـ مزدوجين •

★

• نحن نبعث ونموت فى كل يوم •
كل يوم صورة صغرى من الحياة •
كل صباح ولادة جديدة •
وفى كل مساء تجربة فيها طعم العدم ، غيبوبة كرقدة الموت •

★

• الفن كالحب يهدم الزمن • فاذا القلب « أخضر » ريان رغم الشيب والوهن •

★

• عصمة الفكر ! عفة الفكر !
من الكتب (ومن الموسيقى) ما يكبح ميولنا السفلى وينيم جانب الحيوان فينا حتى كأننا عقول صرفة أو أرواح منعتقة صفاء وخلوصا •

★

• كثيرا ما نباهى « بالموضوعية » وننوه « بالواقعية » •
ونحن لا ندرى أن الكثير من أفكارنا يصدر عن أعصابنا لا غير •

ب• م•

ارض الايام الاتية

شعر : محمد الحبيب الزناد

رحلة الانسان الى الفضاء قضية طلاق ..
م. ح. ز.

(1)

يَـــا أَرْضَ الشَّمْسِ الْمَحْـرُوقَهْ
يَـــا أَرْضاً مَشْقُــوقَهْ
يَـــا أَرْضاً مَخْنُــوقَهْ
يَـــا أَرْضاً تَخْـرُجُ مِنْ أَعْصَـابِ النَّـاسْ
تُفْلِتُ مِنْ أَقْبِيَـةِ اللَّيْـلْ
تَهْـرَبُ مِنْ قَلَقِ النُّعَـاسْ
تَعْـزِفُ لَحْناً يُنَيِّـمُ الحُـرَّاسْ
تَتَسَلَّـلُ إلى الـدَّاخِـلْ ...

يَـــا أَرْضَ الجُـوعِ وَالغُـرَبَـاءِ وَالسُّـوقَهْ
يَـــا أَخْبَثَ بُـومَةٍ يَنْسَاهَـا اللَّيْـلْ
يَغُضُّ عَنْهَـا طَرْفَهُ اللَّيْـلْ
هَـذا اللَّيْـلُ الْمِسْكِينْ
كَيْ تَغْتَـالَ أَطْفَـالَ الآتِيـنْ
وَيَعُـمَّ الْـوَيْـلْ ! !
وَيَعُمَّ الوَيْلْ ! !
يَـــا أَرْضاً سَـارِقَةً مَسْـرُوقَهْ ...

(2)

شُـرُوقُ الشَمْسِ
يَـا نَحْسَ الطَّـالِعِ
وَيَـا طَـالِعِ النَّحْسْ
أُحِسّ بِالعَـالَمِ فِي حَشْرَجَةِ الْيَـأْسْ
يَئِنَ تَحْتَ أصابِعِي
يَفْنَـى وَلاَ يَعِـي ...

تَفَتَّحَتْ أَزَاهِـرُ الدّفْلَـى
طَلَّقَتْ زَوْجَتِي الْحُبْلَـى
زَوْجَتِي الارْضْ
وَوَقَعْتُ مَـكْتُوفا بَيْنَ خَطَّيْهـا :
خَطّ الطُّـولِ وَخَطّ الْعَرْضْ
وَلَقَدْ كَانَتْ أَغَـانِيهـا الجَذْلَى
تُعِيدُ إلَيّ النَّفْسْ ...
آه . مَـا أَصْعَبَ هَذَا الدّرْسْ
مَـا أَصْعَبَ هَذَا الدّرْسْ ! !
.

كَـانَتْ أُمْنِيَتِي الْمُخْتَـارَهْ
أنْ تَرُشَّنِي مِنْ نَفْحِهَـا العِبَـارَهْ
وَتَنْفُضُ عَنْ دَاخِلِي الوِحْشَةَ وَالدّعَـارَهْ
لَكِنَّنِي خَسِـرْتُ فِي التِّجَـارَهْ
مَـا أقْسَى أنْ يَلْعَبَ الإنْسَـانُ بِـالخَسَـارَهْ ! !

أنَـا لَسْتُ غَـرِيبا
وَلاَ مِنَ الْغُـرَبَـاءْ
سَتُشْـرِقُ الشَّمْسُ يَـا نَخْلَـة فَرْعَـاءْ

تَخِرُّ الارْضُ تَحْتَ وَطْأَةِ السَّمَاءْ
وَقَلَقِ الاشْيَاءْ .
يَا وَحْشَةَ الضَّجِيجْ
يَا ضَجِيجَ هَذَا الْعَصْرْ
آه . مَا أَطْوَلَ هَذَا الجِسْرْ ! !

(3)

تَلألا المَصِيرُ فِي عَيْنَيْكْ
وَقَادَنِي إِلَيْكْ
قَيْدُ حَدِيدٍ كَبَّلَ يَدَيْكْ
آه . يَا خَلاَصَ جِيلٍ مُشْفِقٍ عَلَيْكْ
آه . يَا مُعَانِقِي ... لَبَّيْكْ ! !

م . ح . ز .

تونس فى 1969/3/22

الطبيعة والعنف

شعر : محمود التونسي

ـ 1 ـ

الطبيعـة رمـانة « عـاشقة » (*)
الاشجـار ذوبتهـا أغنيـة الريـح
والازهـار تمـزج الضحـك بالبكـاء
والسمـاء تتسـاقط فى افواههـا فتخضـر ايديهـا
ويطيـح النظـر فى البعـد
لنقـف على مستطيـل أزرق
المـراكب اصبحت الحانـا
تحملنـا الى مـا قبـل البحـر
خـرافة الاودية والجزر الجميلـة
لقـد كـان المـاء كاذبـا

* * *

ـ 2 ـ

انحـلال الارابيسـك

لقـد يبست الـزرابى
وانسحب الارابيسـك
عـن ظـلال الارابيسـك
واحـدا بعـد واحـد
ودعت بعضهـا بعضـا

(*) فى لغة قرية من القرى التونسية الرمانة « العـاشقة » هى الرمانة التى بلغت حدا من النمو والجمال يدعو الى قطفها حتى اذا قطفت وشقت ظهر داخلها أسود متعفنا •

خطوط الارابيسك
والصوف اصبح حديدا
والالوان تشهق بعد ان كانت تغنى
يا من علمتنا الضحك
والاضاءة من الفوق
السماء فتحت احدى مناطقها
على الامكنة المزججة
من اجل الاضاءة الداخلية
الكل كان نموا
الكل كان تدهورا
نسق الشكل
نسق العمل
السير المأتمى
ووداعهم عندما يبتعدون الواحد
عن الآخر
ويتفسخون فى المنفى الصامت
لهذه الليلة المريبة
التى نسميها الماضى
اما الآن فالطبيعة عارية
مفضوحة العورة
ولحمها شرائح فى أعين المصابين
والذين ما يئسوا من تعلم الحب
والذين ما يئسوا
من تعلم الخطيئة
فحكموا عليها بالوقوف المؤبد
وحكموا ان يكونوا عينا
مسمرة على بابك
يا سيد ـ الموت ـ
دون ان يفقد البحر زرقته

* * *

ـ 3 ـ

لا تهمس يا بياض فى أعيننا
الجدران اصبحت ضحكا

والخطـوط تمتـد تمتـد

* * *

اسكت كـى لا تستيقظ الاشيـاء

* * *

احبـذ الشتـاء فارفـع رايتـك يـا ورد
يـا سيـد العشـاق
الآن حمـرتك اصبحت جـدا
الـورد
اغلقت عينيـك يـا جـدى
بعـد أن تشـرحت
كالـورد

* * *

الريـح فسـاخ
الريـح تفسـخ
والشمس تضحـك تضحـك
وجبهـا مقتـول
فى صـدرى « المحلـول »

* * *

الـوردة اصبحت سـوداء
فى يـد « بـراك »

* * *

السكـك الحـديدية
طـوحت بالقطـار
تلـزمك لغـة معـدنية
لتصـدر الحكـم

ـ تعبيـر « بـربـرى » ـ

لقـد تربـع الـذوق
لقـد استـدار العقـل
لقـد استطـالت العيـن
لقـد وقـف العظـم
لقـد خـرج الفـم لقـد
لقـد دمـدم الـدم

لقد تـوازت الانفـاس
لقـد رفعت اليـد
لقـد خـرج النـوم مـن بكـائه
لقـد اصبـح الجسـد بلـورا
لقـد ذاب النهـد فى لـون ازرق
لقـد خـرج الحليب مـن العينيـن
لقـد تكعب في الحلـق
لقـد اخـذوا توكيـلا
لقـد ، فى تشريـح كـل مـا يشـرح
لقـد يبست الـزدابى
لقـد انسحب الارابيسـك عـن ظـلال الارابيسـك
لقـد اصبحت العيـون معـدنية
لقـد كـان المـاء كاذبـا
لقـد ضحكت الشمس

* * *

الـروح : اليـف لا شـى عليـه
العقـل : البـا نقطـه مـن سفـل
العيـن : التـا اثنينـه مـن فـوق
....

* * *

يـا رمـانة العشـق
يـا ذوبانـا بـدون حلـق ولا ريـح
يـا ضحكـا يمـزج الضحـك بالضحـك
يـا سقـوطـا فى الخضـرة
يـا بعـدا قـد طـاح
يـا وقوفـا يطـول
يـا زرقـة ركبت كـذبة البحـر
كنـا هنـاك
وكـانت الحـديقة
تتكـرر فى عينيـك
وكنت انت الحـديقة والعينين
والريـح تكركرينهـا انت
والافـق يقـف عنـدك

م٠ ت٠

المتسكع على الشاطىء

قصة بقلم : حسن نصر

امتنع عنى النوم هذه الليلة ... مللت التقلب فى فراشى ... لقد نام الجميع وبقيت وحدى ... كنت افرطت فى الاكل أول هذا الليل ... رغم علمى بأن ذلك يضربى ... طاب الحديث وتعددت الكؤوس ... فتناسيت امر معدتى ، وأنا من عادتى النسيان فى مثل هذه الاوقات ... ثم رجعت متعبا الى البيت ، وقصدت فراشى ...

زوجتى تنام سعيدة مطمئنة ... هممت أن اوقظها ثم عدلت عن فكرتى ، لم أشأ ان احرمها من احلامها ... ولقد استهوتنى فى رقدتها ، فملت وقبلت خدها .

ظلت عيناى بعد ذلك تحملقان تلمعان فى الظلام ... وطال على الليل ... وجثم على البيت صمت ثقيل ، ظل يحفر فى اعماقى ويوغل فى الحفر ... ثم تناهى الى سمعى صوت البحر ... امواجه وهى تضج وتصخب ...

لم يكن الشاطىء يبتعد كثيرا عن بيتى ... ولم يكن بيتى هو وحده القريب من الشاطىء... فالبحر فى المهدية قريب من كل البيوت ، وكل البيوت قريبة من البحر ، يأتيها صوته من كل مكان ... يكتنفها من كل جانب ... وهو كذلك يصلنى الى بيتى ... ولقد بدا لى فى هذه الليلة بالذات أنه يحمل فى ثناياه كثيرا من الاغراء والسحر فخرجت اليه .

كانت مراكب صيد السردين تلوح فى منتهى الطرف وهى تخفق بالانوار كقلب نابض لمدينة خلف البحر محتفلة بعيد من اعيادها ... لا شك فى ان السردينة بدأت تتجمع تحت تلك الانوار ... وان الصيادين قد جعلوا يستدرجونها داخل الشباك ، وهم يراقبون فوارها المتزايد ... مما لاريب فيه انهم سيتحصلون على صيد وافر فى هذه الليلة ، فالريح مواتية والبحر هادىء ....

هذا البحر الذى بمقدور الانسان ان يظل يجدف فيه حتى الصباح من غير ان يتعب ...

لا ادرى كم مضى على من الزمن لم اركب فيه البحر ... لعل ذلك منذ كنت يافعا ... ولم اقف ايضا فوق الصخور ارقب مراكب الصيد وهى تغادر الميناء مع العصر فرقا فرقا فى طريقها الى صيد السردين ...

ان الذين يعيشون جوار الشاطىء لا يستهويهم عادة البحر الا نادرا وفى الاوقات التى يشعرون فيها بالضيق ... عند ذلك فقط ينتبهون الى ان البحر قريب منهم ، وانه بمقدورهم ان ينعموا بالنظر اليه ... وهذا ما شعرت به فى هذه الليلة ... وجدتنى منجذبا الى البحر حتى انى لم اكتف بالوقوف أمامه ، فخطوت نحو الموجة ، واقتربت الى ان لامست قدماى حافة المياه .. حيث الرمال ملساء وسهلة كراحة اليد ... كنت وحدى على الشاطىء ، الجو ساف ، والنجوم تخفق فى السماء ... وفجأة لمحت شبح انسان يتحرك بين الكثبان ثم يختفى ثم يظهر من جديد ... وكان هنالك بصيص من النور يصل من اقصى الميناء فيضىء الشاطىء ضياء رقيقا ... امعنت النظر فاذا هو شبح رجل • فارع الطول • مضطرب الهندام ، مشوش الشعر ... وشعرت كما لو عصفت بى ريح عاتية • لكننى واصلت سيرى غير مكترث ...واصبحت المسافة بيننا قريبة ... وفتحت عينى ، كأننى أريد أن أخترق الظلمة ... ورأيت وجهه لكن أين سبق لى أن رأيته ... « انه نفس ذلك المتسكع الذى دلف الى المطعم وجاء يقف الى مائدتنا فى اول هذا الليل ... كان صعلوكا فارعا لقد حجب عنا النور بظله الفارع ومد يده قائلا :

ـ « أخوكم جائع »

وقال له صاحبى وهو يتطلع فى هيئته :

ـ « الله ينوب »

فتوجه الى بالخطاب وهو يمد يده الطويلة فى وجهى :

« أخوك جائع اعطنى شيئا آكله »

واذكر أنى اجبته قائلا :

ـ « لا يمكن ان يتصدق الانسان على رجل مثلك »

فأجابنى بصوت حاول ان يستدر به عطفى :

ـ « لماذا ... ماذا فعلت لك ؟ ! »

فأجابه أحدنا

ـ « من يملك جسما مثل جسمك بمقدوره ان يعمل »

فقال :

« أنـــا جـائـــع »

قلــت لــــه :

ـ « لماذا لا تبحـث لـك عـن عمل »

فقـــــــال :

« أنـــا جـائـــع »

ـ « انت لا تريد أن تفتش عن عمل »

فـأعـــادهـــــا :

« أنـــا جـائـــع »

ـ « اذهب للعمل فى الحضائـر »

فرددهـــــــا :

« أنـــا جـائـــع »

ـ « انت تعودت الاستجـداء »

فأعاد ترديدهـــــا :

« أنـــا جـائـــع »

وعند ذلك ضحكنا جميعا وقال له احدنا :

ـ « جائع ، جائع ، جائع ٠٠٠ ماذا تريد ان نعطيك ٠٠٠ الله ينوب »

فاعادهـــا ببــــلادة :

« أنـــا جـائـــع »

واغرقنا فى الضحك مرة أخرى وقال صاحب لنا :

ـ « أظن أنك بدأت تفسد علينا جلستنا »

ونادينا النادل ، وطلبنا منه ابعاد هذا المتسكع البليد من وجوهنا ٠٠٠

وبينما جعل النادل يدفعه نحو الخارج التفت الينا وصرخ باعلى صوته :

ـ « أنـــا جائـع »

لكن النادل دفعه بقوة الى الخارج واغلق فى اثره الباب ٠٠٠

نفس ذلك القوام الفارع الذى رأيته فى المطعم اراه الآن ينتصب أمامى فوق كثيب الرمل ٠٠٠ لقد تمكنت من رؤية عينيه رؤية واضحة ٠٠٠ رأيتهمـــا غاضبتين ماكرتين كأنهما تصمران لى الغدر ٠٠٠

وشعرت كأن ريحا تعصف بى ٠٠٠ وتلاحقت دقات قلبى ، وشلت حركة رجلى

فكدت اعجز حتى عن مواصلة السير ٠٠ لكننى تحامت ٠٠٠ كان قريبا منى٠٠ فلم تعد تفصل بيننا سوى بضع خطوات ٠٠٠ وفى لمح البصر شاهدته يقفز من فوق كثيب الرمل كأنه الصقر يريد ان ينقض ٠٠٠ يداه مفتوحتان ، وعيناه مستديرتان حمراوان مشتعلتان كعينى الصقر ٠٠٠ ورأيته يتجه صوبى ٠٠٠ هممت بالفرار فخانتنى قواى ٠٠٠ وسرى فى الوهن ولم تعد ساقاى تقوى على حملى ٠٠٠ فبقيت كالفريسة وقد حدق بى الخطر من كل جهة ، فليس مــن مفر ٠٠٠ وزادنى ظلام الليلة ووحشة الشاطىء فزعا ورعبا ٠٠٠ وبدأت الهث ثم اخذت ازفر وتحول الزفير الى شهيق مكبوت يتصاعد من صدرى ٠٠٠٠ حاولت أن اصرخ فلم أجد لى صوتا ٠٠٠ والتفت فاذا جسمه يسد على الرؤيا ورأيته يهجم ، شعره منفوش وعيناه مشتعلتان ، فاستسلمت وقد عقد الخوف لسانى ٠٠٠ وخارت قواى ، فسقطت على الرمل البارد الرطب ٠٠ ووجـدته يهبط فوقى ٠ ويعفس على صدرى ٠٠٠ ثم يمسك بعنقى ويضغط على بقوة ٠٠ اصابعه تنغرز فى حنجرتى كالسكين الحاد ٠٠٠ لم اعد قادرا على التنفس ٠٠٠

كان رأسى مغموسا فى التراب ٠٠٠ ورأيت النجوم وقد اخذ بريقها يغيب عن عينى ٠٠٠ وجعلت أخبط بقدمى على الرمل وأنتفض كالشاة المذبوحة ٠٠٠ ثم جمعت ما بقى لدى من قوة واطلقت صيحة اخيرة٠٠٠واذا زوجتى توقظنى من نومى ٠٠٠ ففتحت عينى ، فاذا انا فى فراشى وزوجتى الى جانبى تربت على ظهرى بيد وتقدم الى باليد الاخرى كوبا من الماء ٠

ح٠ ن٠

نخلة الفدائي

شعر : رياض المرزوقي

اسْمُهُ عبْد الجَليلْ   مِن مَواليد الجَليلْ
كَانَ فِي الْخيمةِ يَغْفُو   تَحْتَ هَبَّاتِ الفتيلْ
فإذَا الرّعْدُ يُدوّي   وَإذَا البَيْتُ يَميلْ

نَخْلَة تُسْنِدُ ظهْرا   هَزّهُ الرُعْبُ الطّويلْ
سلسلات مِنْ رصاصٍ   لَنَّتْ الجسمَ النَّحيلْ
وعَلى الكفّ زِنَاد   يقدَحُ الشرّ الوَبِيلْ

وتداعى الخوفُ والجوُ   عُ وصبر مُستَحيلْ
فإذَا الجسمُ على الأرْ   ضِ ، على الرمل ، قتيلْ
وحرابُ الشرّ قَدّتْ   قَلبَهُ الغَالي النبيلْ

جَاء جنديّ تَهَادَى   قنفذ مِن تحتِ شَوْكِ
قطرَةَ ... بَل قطرات   بين خَوف ، بين شَكّ
رفَع الجنديّ رأسا   فَإذَا النَخْلَةُ ... تبكي !

د٠ م٠

ثرثرة حول مسالة تافهة

قصة بقلم : رضوان الكونى

أن تكون شارد الذهن ، ذاهلا مشدوها ، كما تشرد من أمامك منازل القرية الواطية ، البالية ذات لون التراب اليابس الكالح ، الحار ، الملتهب ، كما يذهل شيوخ القرية عندما لا يفوز أبناؤهم فى المدرسة أو كما تذهل نسوة القـرية عندما لا يجدن بماذا يشعلن نار العشاء ، وكما تقف تلك النخلات ذات الجذوع المحروقة الجوفاء فى فضاء مشدوه ٠

أن تكون شارد الذهن ، ذاهلا ، مشدوها ، فالحمار ليس مثلك ٠ الطـريق يعرفها بل يكتشفها ويصنعها٠ المهم انك ستصل٠ ستصل ، نعم ، انك واصل لا محالة ، فالمنازل بعدت عنك ، أنت مستدير نحو البيوت الحقيرة والحمار دائب السير ، يسير الحمار مخلفا وراءه القرية ، وأنت تمتطى الحمار الا أنك تنظر الى القرية ، الى أولئك الاطفال الحفاة ، طبعا ليسوا كلهم حفاة وانمـا يغلب عليهم العرى ، قلنا : كنت تنظر الى أولئك الاطفال الحفاة الراجعـين من المدرسة متأبطين أكياسا قماشية بها كتبهم وكراريسهم وأقلامهم ، وفـى كراريسهم كتابات مرسومة على الاوراق البيضاء المسطرة؛ أحرف كبيرة معوجة منحرفة عن أسطر الصفحات المبقعة ببقع الحبر البنفسجى ، مهما يكن فهـم الذين خطوها ، نعم ، الاطفال الحفاة هم الذين خطوها ، أما أنـت فخسارة ، لا تعرف الا أن تنظر فيها ، اما أن تكتب مثلها أو أن تقرأها فهذا مستحيـل لانك قاصر ٠ وقد تتساءل لماذا أنت قاصر ٠

لماذا لا أعرف كيف أعوج الاحرف وكيف أنحرف عن الاسطر المرسومة على صفحات الكراسات البيضاء المبقعة هنا وهناك ببقع الحبر البنفسجى ؟ لماذا ؟

سامحك الله يا أبى ، أنت الذى لم تذهب بى الى المدرسة من أول يـوم يجب فيه أن أذهب اليها ، بل أبقيتنى بين خطوط قطعة أرضنا المحفورة أقتلع القش والاوساخ وأهشم قطع التراب الكبيرة فاكا منها الحشائش الناجمة بين ذراتها التى تفسد الزرع لو بقيت وتحول دونه والثمرة فتحرمنا من مرابيـح السنة القليلة ، التى بفضلها يصل أبـى لتعييشنـا مستورين وهو على ذلك مشكـور ٠

ولما فكـر أبـى فى ترسيمى بالمدرسة كان ذلك يوما مشهودا بالنسبة لى

على الاقل ، وهو اليوم الذى لم أنسه الى حد الآن وما أظن أنى سأنساه ٠ قال المدير لابى : ابنك تجاوز السن القانونى ، وعلى هذا الاساس لا يمكن بأى حال أن يرسم بالمدرسة ٠ معنى هذا أنى مرفوض أو على الاصح طلبى غير مقبول ٠ أظهرت أسفا سخيفا ساذجا وأبطنت حزنا عنيفا ٠ رجعت مع أبى الذى مافتىء يردد بأنه مسرور الى قمة البهجة والسرور وأن الله راض عنه فلطالما طلبه فى أن لا أقبل بالمدرسة التى يديرها فرنسى عدو للدين ٠ وعدت للمحراث أغرسه فى الارض وأدفعه أمامى فأخط على الارض خطوطا مستقيمة ٠ عدت للشمس أكتوى بها فى حقلنا الاجرد البائس ، عدت الى هذا الحقل الذى يجعلنى ألهث خلف محراث قديم ، ألهث ، والشمس تضربنى أشعتها الدقيقة والعرق يتصبب منى لكنى أتحدى كل ذلك وأبقى لاهثا أدفع محراثا أو يجرنى محراث ، لا أبغى شيئا سوى جرعة ماء أجدها فى قعر قلة صغيرة مرمية فى طرف الحقل حيث العجوز والدتى تنكب على اقتلاع بعض الاعشاب ٠

انظر كيف تغيب عنك القرية وكيف تغور ابتسامة أمك فى ذلك الفضاء الفسيح ، لاحظ أنك لم تعد ترى أى شىء سوى شبح أمك واقفة وفيما ٠يبدو مازال بيدها الاناء الذى رشت به خلفك ، أقصد خلف الحمار وأمامك أنت ، وعلى فكرة ، فامتطاؤك الحمار فى اتجاه معاكس شىء مضحك ، أن يكون الحمار متجها بك الى الامام وتكون أنت مستديرا الى ما يخلفه هو وراءه فهذا يبعث على الضحك ، ما علينا ٠ أنت لست متحققا من أن الاناء مازال بيد أمك ولكنه حدس ، ربما هو حق ، بل هو أقرب الى الحقيقة ، والارجح أن يكون الاناء مازال بيدها لانها لم تفارق المكان الذى خلفتها فيه ، قالت لك وهى ترش ذيل الحمار ومؤخرته وبعضا من يديك ووجهك وبالتالى التراب الذى يفصل بينك وبينها أو بينها وبين مؤخرة الحمار ، قالت لك : الماء والامان ٠

ثم قالت : امش يا وليدى ، المفتاح فى ايدك والزمان ما يكيدك ٠ وانفصلت عنها وانقطع كلامها عن أذنيك واتسع الفضاء الذى بينكما الى أن صرت الآن لاترى منها الا شبح شخص واقف ، لم يبق لك منه الا جرس كلمات ترن فى أذنيك ، والا بسمة غائرة فى بقعة نائية من مفكرتك ، والا نظرات من عينين اغرورقتا بالدمع ، ذاك كل ما بقى لك من أمك ، طبعا مع زيادة ذلك الشبح الصامد هناك الذى يضعف شيئا فشيئا ٠ ومع غيابك عن ناظرى ذلك الشبح ، ستعود أمك الى الحقل تلتحق بأبيك ليقتسما معا رياح القفر الهوجاء ولفح الهجير وشوك الليالى الحالكات السواد ، يتحديان كل ذلك ويقفان للريح تذرو ملابسهما وتهزها بعنف وللشمس تحرقهما ولاشواك الليل تدميهما فلهما فى آخر الليل تضميد ومؤاساة ٠

لقد كان رجوعى فاشلا من المدرسة عاملا من عوامل عودتى الى الحقل

والشمس الحارة وهوج الرياح ، لكن الذى حز فى نفسى هو أن أعزل عن حلبة طالما كنت أتمنى أن أكون من ضمنها ، ماذا يعنى أن يتوجه يوميا أبناء القرية الى المدرسة ويرجعون بكراساتهم الملآى بخطوطهم المعوجة التى لا تحافظ على متابعة أسطر الصفحات ، يعنى هذا بدون شك أنى ابن حقل حقيقى ، أى أنى لا أصلح لاى شيء وغير مرغوب فى • لكن بيمينى ودينى لن يمر قليل من الزمن حتى أريكم من أنا وماذا يمكن أن أفعل •

لم يكد الحمار يمضى بك بعيدا عن القرية حتى وجدت نفسك تستقبل قطرات المطر الكثيفة النازلة لينة على يديك وشفتيك وعلى ملابسك ، واربدت السماء ووضح أنها تريد أن تفعل بالارض شيئا ، كأن تذيب تلك الغيوم فتنزل مطرا ، وكان ما ظننت • سقط الماء هينا لطيفا فى الاول ثم انهمر مدرارا قويا منفلتا من فوق على أسفل ثم ضعف رويدا رويدا سائرا نحو الكفاف وانتهى الامر ، كأن ماء لم ينزل من السماء على الارض ، ولم يكن نزول المطر قد مكث طويلا ، كعادته فى هذه البقاع ، لذلك لم تستحث خطى حمارك ولا التجأت الى أى مكان للاحتماء • كفت المطر بعد أن رشت المكان وطلع منه الغبار ، ومن هنا بدأت تلاحظ آثار الحمار مطبوعة على الثرى ، وظل الحمار يسير بك ، بين أوحال وبين مواضع يابسة كان الماء لم يصلها ، وبين روائح اختلط فيها الحنظل بالاكليل وبعض النباتات الاخرى المتوحشة ، كما بدأت روائح التراب تطلع عليك ووهج حار ناجم من أسفل يغمر المكان • وسرعان ما سخن الجو فعرقت ولا مروحة من سعف النخيل تبعد عنك بعضا من هذه الحرارة وتروح عنك • وحاصرك الليل فمضيت دائما تسير أو مضى بك الحمار • وتحركت بعض النسمات فداعبت قفاك فدخلك شيء من النشاط والاحساس بالخفة ، وكأنما بدأت تطرح عنك ثقل اليوم وكثافته وتستعد لعد النجوم •

عد النجوم هذا كان ولا يزال شغلى الشاغل ، فكلما جن الليل وأقبل كل من يرود المدرسة على النظر فى خطوطهم الكبيرة أقبل أنا ـ وقد استلقيت على ظهرى بعد عمل طويل كامل اليوم ـ على النظر فى السماء وعلى ابتداء عمليات الجمع التى لا تنتهى ، أحسب الكواكب كوكبا كوكبا ثم أضم الحساب وأرى الحصيلة ماذا كانت ، فاذا بى ألمح نجمة جديدة وأخرى تبرز لاول مرة وأخرى غابت فيكون من جديد الجمع والطرح وهكذا الى أن يأخذنى النوم وأنا أغمض عينى على نور الكواكب المشتعلة والمنطفئة ، المطلة والآفلة •

كانت النجوم تائهة أمام عينيك فى سماء لم يعد ظاهرا منها سوى فراغ هائل أسود يعم كل ما تراه عيناك الحائرتان المفتوحتان فى ذهول. من يقوده حمار الى مكان شبه مجهول لا يعرف عنه سوى أنه سيلقى فيه الدعة

والراحة والاستقرار فى النعيم شريطة أن لا يهمز الحمار وأن لا يدفعه حيث يشاء ، لان الحمار ذكى ويعرف الطريق ولطيف المعشر وهذا حق ، فحتى الوالد والام قد أوصياك بأن تركب وتنعم بالركوب الى أن يوصلك الحمار ٠ ولولا كل ذلك لما دب بك كل هذا الدبيب ولما قطع بك كل هذه المسافات التى لم تعرفها من قبل والتى لم تقطعها أبدا ولم تكن تفكر فى سلوكها٠على كل أنت تعرف أن الحمار ذكى ويعرف الطرق أكثر منك ثم لاتنس أنه لا يعتمد كثيرا على المسالك المعروفة بل كثيرا ما يصنع طرقا خاصة به ٠ المهم أنك ستصل لامحالة ، لا تفكر فى هذا كثيرا ، ستبزغ الشمس بعد قليل وسيقبل النهار من جديد فلتتأهب لتقبله لاكما قد تقبلته من قبل بالقيام المبكر والذهاب نحو الحقل للحرث والزرع والحصاد ، دائما نفس العمل ونفس القيام المبكر دون الظفر بحصاد وافر،سوف لا تتقبله كالأيام الحالية لأنك ستكون فى راحة مطلقة، فى هيئة من يركب حمارا ربما يشق مدينة ناهقا يقلب الشوارع بنهيقه الناشز، وربما ايضا تظل الدابة سائرة امامها والراكب المسافر مستديرا الى خلف الحمار معفى من القيادة وفى ذلك اى راحة ٠ لهذا سيكون تقبلك لهذا اليوم غير تقبلك لامثاله عندما كنت مقيدا بالرفش والمسحاة والمنجل أدوات الحقل القارة ٠ والتجربة أقوى دليل على ذلك ، ها أنتذا تعلو حمارا فى اتجاه معاكس لسيره ، وها أنتذا تسمع لغطا يعلو شيئا فشيئا ، انتظر قليلا حتى يتقدم الحمار أكثر ، بدأت تلحظ جانبا من مبنى كبير معفر بالدخان ، وتقدم الحمار أكثر فرأيت نصف المبنى تقريبا ، وتقدم الحمار فرأيت جانبا آخر من النصف الثانى ، وتقدم الحمار لترى نهاية المبنى الكبير الذى يتوسطه باب عريض وبه مجاز فسيح وفوق السطوح مداخن وفى الاركان آلات بها مواد للبناء فى طور الصنع ، ومن كل هذا تندفع اصوات غليظة كريهة للسمع ، المبنى اذن مصنع مواد معمارية ، وتقدم الحمار وما زال يسير ، أقبلت عليك سيارة شحن كبيرة ولما قربت منك مالت الى يمينك أى الى يسار الحمار وتخطتك ، ثم بلغ سمعك صوت من بعيد لم تمكث طويلا تسمعه حتى رأيته وقد برز من ورائك وتخطاك سيارة خفيفة ، وفى الآن نفسه انطلق هدير مزعج يمزق السماء نظرت الى فوق نحو طائرة بيضاء يلمع صفيحها تحت أشعة الشمس ، وما زلت كذلك الى أن دخلت مدينة أو دخل الحمار بك الى مدينة ٠ كانت الحافلات الكبيرة والسيارات المريحة والبنايات العالية أول ما شاهدته فى هذه المدينة أو أول ما جعلك الحمار تشاهده ٠ رأيت هناك وجوها تعمها البهجة وربما أيضا شىء من السعادة ٠ كل تلك الشوارع العريضة والطويلة كانت تزخر بالناس وكانت البدلات الانيقة والاحذية البراقة والوجوه المزينة بألف طلاء وألف لون والسراويل الطويلة الفضفاضة والشعور المرسلة واللحى الكثيفة والمينى —

جوبات ، وسيارات المارسيداس وأكشاك الصحافة والثقافة ودور السينما وأعوان الشرطة فى رأس كل عطفة من عطفات الشوارع ٠

لكـــــــن ٠٠٠

قطع بى الحبل وأنا فى منتصف البئر ٠ استرعى وجود الحمار فى هذه الاحياء انتباه أعوان الشرطة الحازمين اليقظين خاصة أمام مثل هذه المناظر الناشزة ، فجاءوا الحمار يضربونه هو وراكبه ، واقتادوه نحو طريق آخر يؤدى الى ٠٠٠ لست أدرى الى حد الآن ٠

استمر الحمار يمشى ، ويشق طريقه فى أنهج ضيقة ، وبلغتنى أصوات عالية ، لم اتبينها فى الاول ، ثم قربت منها ـ قرب الحمار منها ـ فاذا هى أصوات منغمة حلوة تدخل القلب ـ قلبى أنا ـ وسرعان ما رددتها فى سرى ٠ كانت هذه الاصوات تشيد بجودة البضاعة وجودة الخضر التى تباع فى السوق وطبعا كان مطلقوها الباعة انفسهم ٠ تقدم الحمار ، ولاحظت أنواعا أخرى من الناس متغضنى الوجوه مبتسمين مترنمين بما يبيعونه ويعرضونه ، وكانت هناك أصوات بعيدة متداخلة فيها النسائى والرجالى الى جانب ضجيج النقالات والعربات ، أما الازياء فكانت على حالها ، كل الناس مرتدون ، ولا يهمنا نوع ما يضعون على جلودهم ، الستر هو الكل ٠

وهنا توقف الحمار ثم خطا ببطء ونهق نهيقا عنيفا متواصلا يخرجه من أعماق صدره وبطنه ، فكان يهتز بى الى فوق ليمتلىء نفسا يطلقه صراخا مزعجا كريها يمجه السمع ويرفضه الذوق ، وحاولت أن أسكته لكن لا حيلة لى ٠ وسكت فيما بعد ، عندما قلب الدنيا نهيقا منكرا ، الا أن أحدا لم يتكلم ولم يضربه ولم ينهره ، وجوههم خرساء لا تدل على شىء ولم يرتسم عليها أى انفعال ثم مضى الحمار بضعة أمتار ومد ذيله أمامى وراث روثا نتنا ألقى به على أرض المكان ثم مر كعادتــــه ٠

الرحلة طويلة ولم يستقربك هذا الحمار بعد ٠ ان يكن قد داخلك شىء من القنوط فركوب الحمار ليس عارا ، قد تركبه وانت متعمم متجبب وقد تمتطيه وأنت مكشوف الرأس متفرنج اللباس ٠ لا شك أنك تعبت من هذه الرحلة وأنك تود أن تحثى التراب بيديك وتملأ به حفنتيك ، سيحصل ذلك ما من شك ، لن تبقى طويلا على ظهر الحمار ٠ ودوام الحال من المحال ٠

أين صخب المدينة ؟ أين الناس ؟ الى أين يسير بك هذا الحمار ؟٠

أين أنت يا أم ٠ هل ما زلت واقفة حيث أبقيتك أم أنت بالحقل تعملين ٠٠٠

الشبح الهائل الرهيب الذى وقف صامدا يرقبنى وأرقبه الى أن غبت عن المنظر ٠ البسمة الغائرة فى صحراء الشوك والعذاب ، والنظرة التائهة الحائرة فى أعقاب حدقتيها المغرورقتين ٠ سآتيك يا أم ٠ (الماء والامان) ٠ رشى الماء على وعلى خطاى ٠ وقد فعلت (الماء والامان) ٠

ـ آه ٠٠٠ يـــا أمـــى ٠

هذا هو التراب سأغترفه وأملأ به يدى وأعجنه كما فعلت صغيرا ٠

وسقطت على التراب الاسود الحزين قطرات دم ثقيلة وسميكة ٠

ألقيت بى أيها الحمار !٠٠٠

سامحـــك الله يـــا أبـــى ٠

رشى الماء يا أم من جديد على أخى وقولى « الماء والامان » ٠ أما أنا فمنى اليـــك الســـلام ٠

سأموت وفى داخلى سؤال ثائر : لماذا امتطيت الحمار فى اتجاه معاكس ولماذا رضيت بذلـــك ؟

لم أرفض يوما شيئا مع أنى كنت دائما مرفوضا ٠

انـــى أمـــوت ٠

تجمع حول جثتك كل من هب ودب بـذلك المكـان ، كنت ملقى على بطنك وأنفك غائص فى الرمل المبلل بدم ينزل من قفاك ، من أسفل الجمجمة ٠ نظروا وراءك كان هناك جبل بسفحه غار له فتحة صغيرة ، وبداخل الغار حمار يأكل تبنـــــــــا ٠

لم يستنتج أحد أن الحمار كان قاصدا التبن ، ودخل فتحة الغار ، ولما كنت أنت راكبا ظهره فان جمجمتك اصطدمت بأعلى الفتحة وكان صخـرة عظيمـة فتهشمت ، وسقطت من الحمار مسجى على وجهك ، وكان أن واصل الحمـار سيره نحو التبن يأكله ، ولا يزال ، وكان كذلك أن مت أنت ٠

والمسألـة تافهـة فى غاية التفاهـة ٠

ر٠ ك٠

ملاحم شعرية لها تاريخ [1]

بقلم : محمد المرزوقي

2 ـ ملحمـــة أم صـويـــغ

من المعارك الكبرى التي وقعت اثناء ثورة الجنوب 1915/1918 معركة أم صويغ وهو مركز محصن بالجنوب كانت به قوة فرنسية من جملة القوات المتفرّقة على كامل الحدُود الليبية لمراقبة تسربات المجاهدين التونسيين والليبيين .

وكان المجاهد خليفة بن عسكر النالوتي الذي انضم التونسيون إليه في معاركه مع الإيطاليين أمر اتباعه بشن غارات خاطفة على المراكز الامامية للفرنسيين ـ وذلك إثر خلافه معهم بعد محاولتهم مهاجمة « وازن » من التراب الليبي بدعوى مطاردة المتمردين من التونسيين ـ قاصدا أضعاف معنويات المتحصنين بحصن « ذهيبة » وقطع وسائل التموين عنهم . وكان اعتزم احتلال هذا الحصن واغتنم التونسيون هذه الفرصة فتفرقوا في جماعات صغيرة للاغارة على المراكز التي يعرفون طرقاتها ووسائل دفاعها أكثر من غيرهم وكان معهم في هذه العصابات والالتحامات المتوالية عدد من الإخوان الليبيين إلا أن العدد الاكبر لهذه الجماعات كان للتونسيين من مخالبة وطراينة واولاد دباب واولاد شهيدة ومرازيق وعذاره وصابرية وغيرهم كثيرون من مختلف الاحياء والعروش .

وكثرت الالتحامات بينهم وبين الفرنسيين وكان الفوز في

(1) نشرنا الملحمة الاولى في العدد السابع من مجلة الفكر ـ أفريل 1969

جانب المجاهدين غالبا الا أن السّبب الذى جعلهم لا يحرزون نصرا حاسما هو الجهل الاعمى الّذى كان يسيطر على عقول النّاس فكان المجاهدون من جهتهم ينهبون أرزاق أعوان الفرنسيين من السكان ويعتدون عليهم ولم يحاولوا أن يبثوا بينهم الدعاية للالتحاق بالثورة أو عدم اعانة الفرنسيين على الاقل والقيام بالتخريب الداخلي وكان الاهالي الساكنون تحت سلطة الفرنسيين يقومون بمقاومة المجاهدين لا إخلاصا للفرنسيين كما يتبادر للذهن ولكن دفاعا عن الارزاق والحريم ووجد الفرنسيون في هذه الطبيعة المتأصلة في البدوى منفذا لتشجيعهم وتحميسهم ضد المجاهدين زيادة على أن المجاهدين ينقصهم النظام والسلاح والتموين في حين أنّ الجانب الفرنسي كان يكفل لاعوانه هذه الاشياء .

وفي أحد الايام بينما كانت عصابات المجاهدين على مقربة من ذهيبة وصلتها قافلة للتموين يقُودها الشاعر محمد معيز المخلبي كما وصل الرسول المبعوث إلى مركز « أم صويغ » وهو سعد بوذيب المخلبي واخبران الفرنسيين بصدد بناء تحصينات في المركز فامر ابن عسكر قائد المجاهدين حالا بمهاجمة مركز « أم صويغ » بواسطة محلة قوية نزلت بعد رحلة على بئر « التويس » الواقع على نحو ثلاثة كيلو مترات من « أم صويغ » ، وشرعت في تطويق المركز ومحاصرته ليلا .

وفي فجر الغد بدأت المعركة التي استمرت حامية إلى الليل واستغاث المحصورون فاسرعت إليهم نجدة من « ذهيبة » ولكن هذه النجدة أرجعت على اعقابها بخسائر باهظة من طرف الجناح الشرقي للمجاهدين ، ووصلتهم نجدة ثانية من عسكر الزواف فاصطدمت بهم خيالة المجاهدين وقبضوا على من بقي حيا منهم ولم ينج منهم أحد واذذاك طلبت المحلة المحصورة المناهمة في التسليم فارسل ابن عسكر أحد قواده وهو المسمى أحمد بن معتوق الغزاوى مع بعض المساعدين فدخلوا الحصن الفرنسي لتسلم الاسلحة واثناء عملية التسليم هذه وقعت مشادة أطلق بسببها

أحد أتباع ابن عسكر من المكلفين بتسلم الاسلحة الرصاص على فرنسي فقتله فرد الفرنسيون الفعل وقتلوا بعض الموجودين في الحصن وفر الباقون واستؤنفت العمليات الحربية . وهناك وصل الخبر بان نجع المخالبة مع من معه من الاحياء قد استطاع التخلص من الحصار فامر ابن عسكر أعوانه من التونسيين باعتراض النجوع الناجية وترحيلها إلى داخل الاراضي الليبية وعول هو نفسه على فك الحصار والرجوع إلى نالوت لبلوغ الانباء أن يوسف خربيش من أعوان الإيطاليين قد أمدته ايطاليا بالعتاد والذخيرة وكون قوّة أطلق عليها الإيطالي اسم « باندة » ليقاتل بها ابن عسكر ومن معه ، ومن المعروف أنّ ابن عسكر قد اصطدم بعد مدّة بخربيش هذا وشتت قوته وفر خربيش إلى عاصمة طرابلس ملتجئا للايطاليين .

وفي هذه الوقائع وفي قصة نجع المخالبة وما وقع له ، يقول شاعرهم محمد بن المبروك معيز :

نَحكيلْكُمْ كيفَاشْ صَارْ علْينَا   علَى نَجْعنَا سَاقُوهْ بِنْسَاوِينَه

نَحْكيلكُمْ يَا أوْلاَدِي ...   مِنين الجمَاعَهْ سقَّدُوا الْعيَّادى2

لاَ وَالْ 3 وصْلَه وزَاد فاته غَادي   علَى الظَّهْر رَافِعْ شَرْبته وعَوِينه

نَعتُوهْ بنْ عَسكَرْ وْجاهْ قصَادى   سلَّمْ علَيهْ وْخَبَّرَهْ مَابِينَا

وَقْتِ انْ عَطَاهْ جْوابَهْ   مَضْمُونْ ردّه رَجَّعَهْ لاَ حبَابَه

رَمْلَةْ مزْزَمْ وَالمْزَازْ وْبَابَه   شَدّ الثَّنِيَّهْ رَادْعِ كُرَادِينَه

جَاتَه مَحلَّةْ طَالْيَا تِدَابَى   لاَ فَادْهَا فُرُومَاجْ لاَ سَرْدينه

---

(2) العيَّادِي ، رسول حي المخالبة من رمادة إلى ابن عسكر للمفاهمة في الثورة .

(3) وادى أوال : شرقي غدامس .

مْـــزَرَمْ تْـــعَــــــدّى وَادَه   طَالِبْ تْـرَابَه وَالْعَـدُوْ فِي بْلاده
عَـزْمُوا جْمَاعَهْ بْصِيفَةِ الصَّيَّاده   سَعْدْ وْسَاسِي نَصْرْ بن بُوسْنِينه4
اجْتَمْعُوا مْعَاهْ وَحلْقُوا مِيعَاده   وْقَالُوا نَوْصّوا للرِجَالْ تْجِينَـــا

وَقْـتِ الْ قَـالُــوا نْـوَصّــوا   وَفْـرَانْسَا عَمْلَتْ افْرَادْ يْعِسوا
مْنِينْ ثَبتُوا مِنهُمْ وْبِيهِم حَسُّوا   نْـزَلْ حكْمْهُم عاصِفْ شديد علينا
فِي حَالْ هَانَا نَبْلْعُوا وِنْغُصّوا   نَرْجَاوْ رِيحِ النَّصْرْ لِينْ يأتِينَا (5)

نْزَلْ حُكْمْهُمْ ضَـايِمْنَـــا   دِرْنَا جْمَالْ وْشَيَّنا ألْ لاَزِمْنَـا
رْشَقْنا الحرْبِي أسْطارْ في مْحازِمنا   وْفُتنَا ثْنَايَا المرْطْبه وَعْفِينَـــه
علَى وَازِنْ لاَوِنهُو صْدِيقْ خطمنا   وَالنْعْتْ قَالُوا بِنْ قْدَالْ هَوِيْنه

عَـلْ نَعْتْهُـمْ جِينَـــاهُــــمْ   فْرِحْنَا وَفَرْحُوا وَاجْتمعْنا مْعاهم
اللِّي صَارْ فِينَا بِيهْ خَبَّرْنَــاهُـمْ   كُلْ حدْ هَافَتْ دمْعْته منْ عينَــه
هَسُّوا عَلِيهُمْ ذَرْهُمْ وِنْساهُمْ   وْلاَ منْ يْطِيقْ المُوجْعه فِي ضْنِينه

طَــابْ نُـومْنَـــا ورْقَـدْنَـــا   عَلَى الصّبْحْ نُضْنا لْبَعْضْنا وْميعدْنا
رْجَالْ لِيبْيَا وِتْوَانْسَهْ مَعْكَدنَا   زَحْفَتْ القُوَه لْحَدّهُمْ خَشّينا
لِتْوِيسْ جِينَا لَوّلِينْ ورْدْنَـــــا   جِمْلَتْ الْكُوفه لْبَعْضْهَا وْحَطِيا

جِمْلَـتْ الْكُــوفَـه وَاطَـــتْ   وِرْجَـالْ شَدّتْ فِي المَسَانِدْ بَاتَتْ
مْعَ الفجْر لَوّلْ والنُّجومْ تْواطتْ   مُولَى الْقَهَاوِي قرْبِ امّاعِينَـه
شْلَطْ الْوِقِيده وِالطُّرْنبه طَاطَتْ   نَاضِ المْنَحس شَاعْله نْـوَارِينَه

---

(4) وفد المخالبه إلى ابن عسكر .
(5) تبشير الشاعر إلى حي المخالبة الذي حاصرته فرنسا أيام الثـورة حتى استطاع التخلص من الحصار بعد ذلك .

مْعَ الْفَجْرْ زُرْقَتْ شَمْسَه — ضْبَطْنَاهْ وَسْمعْنَاه نَاض فِي رَمْشه
طْرَدْنَاهْ لِينْ اللِّيلْ ظَلَّم دمْسَه — جَاوْ الْحصنَّه هَاجْمِينْ عْلِينَا
احْنَا وْخِيلْهم نِتْفارْعوا بالكمْشه — جَتْنَا غنِيمَه طَايْبَه لِيدِينَا

وَقْتِ انِ الْخِيلْ انْشَدّوا — مْرَاحِيلْنَا فُوق الإبِل تْعَدّوا
سَاعَاتْ نَبْدُو نَلْعبُوا وِنْقِدّوا — يَاسِرْ مْلاَعِبْ لِعْبْهُمْ قَدِينَا
دُلْنَا مْرَاكِزْ وِالنُّجُوعْ يْمِدّوا — وْشَرْهَتْ قْلُوبِ الكَاسده وَحزِينه

احْنَا الْخِيلْ شَدّينَاهُمْ — مْرَاحِيلْنَا مِنْ بِينْهُمْ جِبْنَاهم
نْوَاظِيرْ حَدّ طْرَابْلِسْ فُتْنَاهمْ — عَرْضْ بِيّنَا(6)شَرْهَانْ فَارِحْ بِينَا
سْنَاوَاتْ عِشْنَا بِالقَدَرْ مْعَاهُمْ — وْدِرْنَا عْمِلْنَا كِيفْ ما حِبِّينَا

م. م.

(6) يشير الشاعر بكلمة (بينا) في قوله: (عرض بينا شرهان فارح بينا) إلى خليفة بن عسكر الّذي كان اطلق عليه في ذلك الوقت لقب (باي نالوت).

شــــرح الالفـــاظ

ــ مْزَرَّمْ ، الْمَزَازْ ، الْمَرْطَبَّةْ ، عَمْيِنَة ، بِنْ قْدَالْ : معالم بالتراب اللِّيبِي الغربِي .

ــ أمّ صُوِيغْ ، التَّوِيسْ : معالم بالجنوب التُّونسي .

ــ عْوِينَه : زاده .

ــ قْصَادِي : قاصدا اياه دون ميل .

مَا بِينَا : ما بنا ، باحوالنا .

ــ رَادْعْ كْرَادِينَه : نظم جماعاته .

ــ تْدَابَى : تمشي في عدد كثير .

ــ فَرُومَاجْ ، سِرْدِينَهْ : جبنة وسردينه من الاطعمة التي يعير بها الإيطاليون في ذلك الوقت .

ــ لِنْ يَاتِينَا : إلى أن يأتينا .

ــ هَوَّينَه : هَا هو ذا

ضْنِينَه : ولده .

ــ مِيعَدْنَا : اجتمعنا في ميعاد أي في جماعة .

ــ مَعْكَدْنَا : غالبنا ، أكثرنا .

ــ جِمْلَتْ : اجتمعت .

حَطِّينَا : نزلنا .

ــ وَاطَتْ : انزلت أدباشها .

ــ الْكُوفَه : القافلة من الجمال المحمَّلة

ــ الْمسَانِدْ : أماكن الرمي .

ــ أمَّاعِينَه : مواعينه ، جمع مَاعون .

- الطَّرُنْبَه طَاطَتْ : آلَة الترمبيطه الموسيقية ارتفع صوتها . منادية للجيش بالإستعداد .
- المَنْحَّس : الرصاص .
- زُرْقَتْ : اشْرَقَتْ .
- فِي رَمْشَه : فِي رمشة عين ، في لحظة .
- دمْسَه : ظلامه .

الحَصُنَّة : جمع حصان .

- نتْفَارْعُوا بِالْكَمْشَه : نَتَعَارك بالايدى .
- غَنِيمَة طَايْبَه : غنيمة باردة .
- مْرَاحِيلْنَا : جمع مرحول : ابل محملة .
- قَدّينَا : قدرنا .
- دُلْنَا : استولينَا .
- يْمَدّوا : يرحلون .
- شَرْهَان : فرحان .
- سْنَاوَاتْ : سنوات .
- عِشْنَا بِالْقَدَرْ : عشنا بالإحترام .

ولادة *

شعر : الطاهر الهمامي

(1)

أعدَمتُ الإعدَامْ
رفعَتْني الاعنَاقْ
رفعَتْني الاقدَامْ
وطلعَتُ على الدنْيَا
بقصائدَ نَارٍ في جوْف المُتَسَوِّلَةِ الاقزَامْ .
أرأيتَ الألسنةَ المشوبَه
بقصائد نـاريه
لا تحترفُ التزييفَ ولا تنتحِلُ القشريه
تأبى مضْغَ الافكـارِ النيّه

من سنواتْ
وأنا أبحث عن عينيك وراء الكلماتْ
أنشُـدُ صوتك بينَ الاصْواتْ
أسألُ عنك مرُورَ اللحظاتْ
أتشهاك منّا صِلة حيـه
أتمنـاكِ قَـويه

(2)

أنَا مكروهٌ من أجلكِ مكرُوه منْ أجلِ بلادِي
مَطعُـون أنا في صحّةِ انشادِي
جوعـانُ أنـا صَـادي
أنَا منفـي في ظُلْمَـةِ وادِي .
عَـادَيتُ جميعَ ألاحبَـابْ
عادَاني كُلُّ الأحْبَابْ
فـأحـبينـي !
ولتُغلَـقْ في النفْيِ عَليْنَـا الابْـوَابْ ! !

(*) بين هذا القصيد وبين « اجمل من سماء افريقيا » الفكر – العـدد 7 – افريل – السنة 14 علاقة خاصة .
ط. ه.

سقوط سدوم (1)

ـ 2 ـ

مسرحية بقلم : ابـراهيم بن مراد

أشخاص المسرحية
لوط : النبى ، ابن أخى ابراهيم الخليل
أسمى : ابنة لوط الكبرى
لهـا : زوجته
راحيم : ابنته الصغرى
ود : فتاة سدومية
سامان : ابن يوؤاش ، سيد سدوم

بعلزبول : نبى « الفلس » ...
يوؤاش : سيد سدوم ورئيس الكهنة .
رسولان . كهنة . صوت ابراهيم . رجال . نساء . هواتف . أصداء . أصوات .
الزمان : سنة 2000 ق. م.
المكان : فى دائرة الاردن .

المنظـر الثـالث

خارج أسوار سدوم . خيام منصوبة ودواب مختلفة عند أسفل جبل . تلك هى خيام لوط وعشيرتـه . فـى مقدمتها خيمة لوط ، وقد جلس أمامها وزوجته « ليـا » وابنتيه « أسمى » ـ الكبرى ـ و « راحيم » ـ الصغرى ـ مع ضيفه سامـان . وقـد استقبلـوا بوجـوههم جبلا عاليا اجرد يلف قمته ضباب شف كالطيف ... يغشى الفضاء سهوم عارم كانفاس الشتاء ثقـلا ... الصبـح يرتعش خفقا حييا . موسيقى دعة يمازجها خوف .

لـــــــوط : لفظتنى وابراهيم وأهلنا وعشيرتنا أرض « أور » ونجانا الرب من شر عصيب . واستقبلتنا بلاد « كنعان » ملاذ اللائـــــذ بالشمس من النار ، وكأن الارض لم تحتملنا فدب الشجار بين رعاتى ورعاة ابراهم . فكان أن انفصلت عنه ، فرعا عـــن أصله ، واخترت دائرة الاردن هذه ، كجنة الرب خصبـا . وقلت : « هو ربى ورب ابراهيم قد هدانـا الى هذا » . وانى لناقل خيامى وعشيرتى داخل المدينة ، فقد وهبنيها الرب ...

(1) راجع الفكر ـ العدد 8 ـ ماى 1969 ـ السنة 14 .

وان سدوم لتقوم أمامى الآن حسناء معصرا يفيض الجمال والعمق والخصب من عينيها الصافيتين ••• وانى لفاتح قلبها عتيا تفيض راحتى بما وهبنى الرب •••

نظرات أسمى تحوم على سامان غارقة فيه ، عائمة • لكأن حجب الغيب قد انزاحت ، فهو السر — سرها — قد اكتشفته • ولكن سامان منصرف الى حديث لوط ، لم يكتشفها •••

سامان : مدينتنا بلا قلب يا سيدى ! لمدينتنا بطن ولسان وجيب ، وشهوة ! لمدينتنا أظافر ومخالب ! تراها فتقول : « خمر عتاق ! ويصبى قلبك وحسك الى العتق من رق واقعك ومحيطك وتغشاها كوالج جنة الرب فاتحا عزيزا ••• واذا أنت الواهم العائم فى الفراغ ، ماضغ ماء ، تلوك وحدتك أينما حلت بك الرجل أو الفكر ، اذ المدينة أغر من السراب ! تراها بعين خيالك عينا حوراء تغرق فى الصحو والوضوح ، وهى الطرفاء الذابلة العبرى لا سحر فيها ولا سر! واذا قلبك يستعيد ثقته بمأساة وجوده ، كتب عليه الرق ، فلا عتق ، ولا عتاق••• (يشير الى الجبل) : وهذه الصور المفزعة والنظرات المتحجرة الغائصة فى محاجرها ••• وهذه الاصوات الحيوانية الغائرة فى صدور تضيق بأنفاسها ••• هذه الحياة الجامدة الميتة تستقبلك ايذانا بزوال طمأنينتك الموهومة وخصب خيالك الشاطح ، تضعك أمام واقعك لتبرأ من الوهم وشاطح الخيال •••

وينظر لوط الى الجبل الملتف بالضباب فى فزع لاهث. فاذا برؤوس ناتئة على رقاب كالاعواد هزيلة رخوة بين حياة وموت • هم العجز من أهل سدوم قد أتى عليهم الجذام والعمى ووهن الشيخوخة • فنبذوا فى أغوار الجبل وكهوفه للوحوش طعاما • ذلك قانون « الفلس » ربتهم • سمعوا بمقدم لوط فاقبلوا من كل غور يشهدونه • يطلقون أصواتا كالهرير أو الفحيح ••• تصاعد هزيلة غائرة فى صدورهم كالتوسل أو السب والشتم • موسيقى أمل وخوف •••

لوط : (مشدوها) : قد يكون الحق ما تقول • هذه الحياة الجامدة

الميتة ... (ينتبه من شروده وتبرق فى عينيه خواطر تترجم حديث قلبه البتول ، وروحه الصافية وعزيمته الحديد الصلبة) والامل ؟ ... ان هذه الحياة التى أرى لاتقتل الامل ، أملى فى ارجاع السداربين الى المهيع ، هؤلاء الضائعين الهمج الى سواء الطريق . ساكون المخلص لهذه المدينة الضائعة التائهة ، هذه الارض الصيهد المؤتفكة الجرباء ، كما تراها ... سأخصبها حياة تدفق من قلب حى نابض ايمانا وقوة ...

سامان : أخشى أن ترى آمالك جرحا عالقا بالافق ، وراء الشفق الدامى ... فهؤلاء قوم يعبدون الاثم والشهوة آلهة . تندمج بهم وتنزل اليهم ببراءتك الطفل وطهارتك الوليد مآلا تنشىء فيه أحلامك وتزكى فيه آمالك . ولكن لعنة القوم تحيط بك وتخيل اليك . وتقوم أمامك طيفا راعبا خابلا ، حتى تضيق ذاتك قرفا فى هذه المدينة . فتفر بها فرارا طالبا نجاء ، جوسا عما يئد هجس الشر فيك واللعنة والسراب . تلوذ بالناس حصنا فاذا هم عورتك الصارخة وثوبك السائس ، وتلوذ بالآلهة آحتماء فاذا بها جسدك الدائد وجمودك العفن وهروبك الى اللاشىء . فتسقط هويا لينتشلك الضياع وينتحر فكرك او ينز صديدا صدا عميقا . اذ يثور جسدك خصما عنيدا قد آنهد أمام الشبق الدافق من عينى « جلسد » وبنات سدوم، فاشتد عليك طلبا لجوجا . فتنهار انهياره او تقاوم جهدك معنى خالصا وروحا محضا يحمل الطهارة والبرء والخصب والرى ، قد انتفى عنك الوهم وكالم يطف بك طائف ، ولكن لتجدك منقسما الى أنا ثابتة أصيلتك ، وأنا « قلقة » يطغى زيفها على أصالة ذاتك ، وتشعرك بغربتك عنك وغربة أصالتك عن صفائها وروحك عن الطهارة والبراءة والخصب ... حتى تعرف أن ليس للانسان فى سدوم الا مشيئة « الفلس » و « جلسد » أو الفرار بطهارته ونقاء اصالته الى عالم الطهارة المحض والبراءة الحق ، حيث يساقط خرشاء الزيف عن ذاته ويهوى هبوية هباء .

لـوط : البشر بشر يا سامان . يهمون اذا اوهمتهم وينخدعون عن أنفسهم اذا أصبت ضعفها . خذ من الناس ارجحهم عقلا وأوفرهم حكمة وأقلهم شبقا ، وأكثرهم زهدا فى نفسه والحياة. وأتح له ما يحشوبه رأسه من الاوهام ، ووفر له ما يملأ بـه

بطنه وجيبه وما يثير فيه غريزته ويوقظ الحيوان الهاجع في أعماقه ، فسترى أن ذاك يغنيه عن العقل والحكمة ، وستراه يلبى نداء فطرته ، فيسعى الى الوهم يعتنقه ، ويفيض على لسانه ثرثرة ، وستراه يهوى الى اعماق غريزته ويقبل على الشهوة يمحى فيها والجسد يذوب فيه والشبق يؤمن به . تلك مأساة الانسان ياسامان . وتلك مأساة السد ومبين . وسأصيب من أنفسهم ضعفها فأجبره ، ومن وجودهم وهمه فأعدمه .

سامان : قد تنجح بينهم اذا طلبت فيهم سلطة مادية وحدثت منهم أجسادهم بأفواهها وبطونها . ولكنك ستحدث منهم أرواحا كفنها « الحس » وأحاطتها المادة بأغلفة وغشاوات صيرتها « العادة » جدارا سميكا بينهم ومثلك . انك لتنظر اليهم فتراهم يتفاجرون وليس لهم من قوة الا بئر نزوف قد استقرت بقاعها حجارة رخوة نخرة ، يتيهون عجبا وهم الكسحاء العجز . يأتون الفاحشة آناء الليل وأطراف النهار . ويعبدون «الفلس» خرافة خلقوها واستقرت في قلوب جوفاء خالية تفيض امتلاء بوهمها . آلهتهم لقمة في بطونهم ودرهم في جيوبهم وكلمة على اللسان وشهوة تؤتى حلالا طيبا ، حتى تضطر لو كنت أحدهم لك حظ من بصيرة الى الكفر بأمك مرضعتك هواءها ومفرشتك أديمها ، وأبيك الذى تبحث عنه في باطنك فلا تجد الا وهما نازعا ، مدعاة للسخر والانتحار ، ثلا من غرائز ورغائب قد اتحدت فيك كلا بحكم العادة واتخذتك مستقرا فأنت غير أنت غريب عنك ثقيل الظل ممتده عجيف تآكلك عثاث أهاجها القحط والجدب السنة من نار حدادا ... وأنت لديهم الملحد يضطرك الحادك الى الهرب تلوذ به مخرجا لنور النهار ليكون ايمانك آبتسامة بكرا على فم طفل ، فجرا وليدا فلقا بهارا وسحرا نضيدا ... فمن ستهدى في سدوم ؟ القوم في غشية صرفتهم اليها « الفلس » و « جلسد » صرفا . ومثلك غريب بينهم غربة الذبالة في وهج الشمس الغامر ... (يدخل أحد الحرس)

الحارس : (الى لوط) رسولاك الى سدوم قد أقبلا ، يرجوان المثول لديك ...

لوط : ليأتيا ...

يلتفت سامان يمنة ، فتلتقي عيناه بعيني أسمى الوادعة الجميلة ، فيشده ، كمن يتذكر شيئا . سر قد انكشف له . وتقوم أمامه بدائع الكون . يقبل الرسولان .

الرسول الاول : ذهبنا الى سدوم رسوليك الى سيدها . والعجب ما رأينـــا وما سمعنا . ما رأينا في شوارع سدوم الضيقة الا منصرفـا الى ذاته يؤتيها لذة ، أو منصرفا الى صاحبه يؤتيه شهـــوة من دون النساء ... ولقد كنت وصاحبي هدف نساء سدوم يراودننـا عن نفسينا ويقعن لنا في خضوع وذل . وإذ كنـا منصرفين الى غايتنا لا نأبـه فقـد كانت الحجـارة الى ظهرينـا أسرع من خطانا ... حتى كلاب سدوم وقططها ، تقع لبعضها في الشارع عائمة في بحران من الشبق الجارف : فكان ليس من موجود في سدوم الا والجنس أسطورته والشبق والخطيئة . وليس هذا شأن القوم وحدهم . فلقد رأينا من رئيس النـار والمدينة وقومة « الفلس » ربتهم مارغبنا عن سدوم ... لقد أملنا ان يصيبنا بين يدي سيد القوم والنار خير مما أصابنا في المدينة ، وقلنا . « عساها تكون مرحلة النجاة والامن » ومثلنا أمامه في دائرة من اعضاده ، سدنة النار وقومة « الفلس » . وطالعتنا وجوه عجفى كوجه المريض النازع وأجسام هــزلى اجهدها الصوم عن البراءة والطهارة ، وأعياها الشبق الغامر الغامر لها، الدافق من عيونها، وتكلم سيد القوم فقال إن الفلس ترحب بلوط وعشيرته وربه في سدوم ، على أمل أن يتـم مـا يرغب فيه أبناء سدوم جميعا : وهو زواج مبارك بين «الفلس» ورب لوط وابراهيــم !! ...

لــــــوط : (كغارق في حلم) لقد وهبنيها الرب ، سأفتحها ...

المنظـر الـرابع

ساحة المعبد . يقوم تمثال « الفلس » نخلـة سحوقـا يقابله تمثال « جلسد » عمودا من نار . قد امتلأت الساحة بالسدوميين اذ اليوم عيد « الفلس » ، في هرج أصم ، ورقص وعناق جنوني . تحوم على الساحة طيـور شهباء مغبـرة صـافرة صفيرا منكـرا ... وأصداء وهـواتف متجاوبة في الفضاء الاشسع كأن اليـوم يـوم جنـازة « الفلس » يبرز من الحلبة راقصان يسترسلان في عناق طويــل .

الرجل الاول : (يتخلص من يدى صاحبه ، ثم يستغرق فجأة فى حلم يقظة) : **يا لها ليلة مسحورة قضيتهـا البـارحة ! ! ان جسـدها لحـى نابض » يفيض شهوة ودفءا ! وان عينيها لينبوعان من لذة ، يفيضان شبقا مخمورا !**

الرجل الثانى : مـــن هـــى ؟

الرجل الاول : (مسترسلا ، كالحـالم) كنت ألامسها فالمس حـريرا لينـا ، وأنظر الى وجهها فأرى « جلسد » حية ! ما أشهاها!!استسلمت الى وقد تحررت فليس ما يسترها ! وكانت الى طيعة لينة ، كنفسى الى ! ما ابدعها وقد تدفقت الشهوة من عينيهـا !!

الرجل الثانى : (ضائقا ، يهز صاحبه) : قلت لك من هى ؟

الرجل الاول : (كالمستيقظ) هى الكاهنة العظمى !!

الرجل الثانى : الكاهنة العظمى ؟!! سيدة الحسن فى سدوم ؟ (**تتغير دهشته الى سخرية**) أيها الحبيث ! **لقد صدقتك من قبـل فى جميـع مغامراتك مع نساء سدوم ٠ فجسدك البديع يغـرى الرجـال فكيف لا يغـرى النسـاء ؟ ولكـن أن تغـامر مـع الكـاهنة العظمى ، وتنجح ، فأشك ٠٠٠**

الرجل الاول : لك ذلك ٠ ولكنى لا أكذب نفسى ٠ كنت البارحة لها ٠ وكانت الى ٠ لقد أغرتنى دعوتها ، رغم خوفى !

الرجل الثانى : وهى التى دعتك أيضـا ؟

الرجل الاول : أجل ! انها تنتقم من الكاهن الاعظم ، يوؤاش ، سيد سدوم ، اذ علمت أنه يحب احدى ابنتى لوط ، عدو الفلس وابناء سدوم وهو يدبر خطة للزواج بهـا ٠

الرجل الثانى : اذن ٠٠٠ حقيقة ما يشاع من أمر اختطاف صغرى ابنتى لوط، البارحـة ٠٠٠

ترتمى عليه آمرأة معربدة ٠ ثملى ، كانت تدور فى رقص لولبى جنونى ٠

المـــــــراة : (تعانق الرجـل الثـانى) : كانت ليلتى البـارحة كالرمـانة أحلاما ··· قيثارة أنغاما ، وكتلة عطرا ··· رأيتنى أسبح فوق طوفان من العطر ، وخلفى فارس احلام يلاحقنى ، لـــه لون عينيك وقوة عضلاتك · ما أبدع تكوينك وقد اهتجـــت الى شوقا (يلتحمان) ·

تقترب امرأة ثانية ، ترقص شبه عارية ، تدور بالرجل الاول راقصـــة ·

المراة الثانية : عيناى لحبيبى جزيرة · وفخذاى له مرجل · ليل شعـرى له ظل ومظلة ، ونهداى له جدول !··· (تنقض عليه فى عناق محموم · ويغرقـــان ···)

دوى انفجارات بعيدة ··· أصوات غائرة فى الفضـــاء راعبة جازعة · أسراب من الطير تحـوم على الســاحة صافرة · وينتصب غـراب أسـود هـائل عنـد قمـة « الفلس » ، يطلق ثلاث نعقات طويلة قاتمة · ويختلط صفير الطيور وأصوات المعربدين بصوت هاتف ينشد :

الهاتف الاول : يا أيـــا النـبى ،
يا أيها الدعـــى ،
يا زارع الظـــلام ···
حينا وتنتحــــــر !!

وينطلق هاتف آخر فى غضب وحدة :

الهاتف الثانى : ثمـارك الزقـــوم ،
وأصـلك اليقطـــين
يـا مغرقـا ســدوم ،
فى وحل وطيـــن !

الهاتف الاول : (ينشد فى حدة وغضب) :
لتنظـف النجـــاد
لتنظـــف الوهـــاد
وليغمـــر الجـــراد
الارض والشجـــــر !

دوى انفجارات بعيدة · موسيقى موت وخوف · وينطلق هاتف آخر ، كالمتجشىء ، فى صوت هائل · موسيقى راقصة رقصة « الطائر المذبوح » :

وليغضب البحـر
والوادى والنهـر
السـر فى الطــين .
سيغـرق الطــين !
دوى زلزال بعيد . موسيقى رعب وآضطراب .
وتنقذ الطهـاره ،
وتنتـفى الدعـاره ،
وتعـزف المطـر ،
أنشودة الظفـر !
ثم تتحد اصوات الهواتف ، فى دندنة كالنديب :

الهواتف جميعا : يختنـق « الفينيـق » ،
اذ يفقـد الطريـق
فى عالـم النقيـق ،
وعالـم الضحاله !
والقحـط فى القلـوب ،
والعالـم « خيالـه » !
فالرب فى الجيـوب ،
الـدود والطوفـان ،
أسطـورة الانسـان !
والحب والالـه ،
بحـر بـلا شطئـان ،
جهلـه الانسـان !
سيغضـب الطوفـان !
ويردد الصدى البعيد :
سيغضب الطوفـان !
سيغضب الطوفـان !
وتصيب القوم سكنة وسكون ، اذ يبرز « بعلزبول » نـبى « الفلس » الى القـوم ، فيعتـلى حجـرا ، يحف به الكهنـة ، ورئيسهم ، يوؤاش ، سيد سدوم . ويأخذ فى تلاوة « توراة الفلس » :

النبى بعلزبول : (يقرأ) الحمد للفلس ربة الوادى . الهة البرد والرى والخصب لا مالك غيرها . تلك اياتها قم فآجهر بها ، انا لك حافظون . وآذكر للعالمين كيف خلقنا العالم من عدم وأخرجناه من عـدم

مكين ، اذ خلقنا جسمه من مارج من نار وخلقنا قلبه من طين ٠ وقضينا الى قلبه أن تفتح عن نورنا والتهب بنارنا فكان الانسان لهبا نارا آمالا تأجج وأحلاما تتجج وفيضا من عين ٠٠٠ نار على نار ونور على نور وسر دفين ٠ وفتحنا له كنوزالارض،وأثجمت السماء وانثج الماء سيبا غميرا ٠٠٠ وأتى على الارض فأغدقت بعد جرد فكانت سدوم الجنة التي وعد المؤمنون ٠ وقلنا يا آدم أقم الصلاة وأجهر بحمدنا انا لك منجون ٠ وكن في سدوم العبد الطيع نرزقك من حيث لا تحتسب ، ويخضل الكون ، فيقضى كل عسير٠ واستجاب آدم لدعائنا فكان الطين اللزج لينا والتراب البلور صفاء ، كالمرمر المسنون ٠ وأتحنا له بدائع الكون تراوده عن نفسه ، كطائف به واقعة له في ذل ولين ٠ وآتيناه حكما وقوة وفجرنا له العجائب وأخضعنا له الكون يجرى بأمره ونحن المالكون ٠ وانكشفت لادم الاسرار وفتقنا عن بصره فحد ، فأستسبر واستقصى كل سردفين ٠ وقامت ملائكة « الفلس » لتعلن أن قد فقد آدم نفسه وعرف الكون ٠٠٠ سبحاننا نؤتى القوة من نشاء والحكم المكين ٠ ولقد ضرجنا بهما أفق آدم فأتياه طائعين ٠ وكانا له الشوق والتوق والحلم والامل ، اذ قلنا كونا في آدم سر الحياة ، فكانا الدافع وكان آدم الحركة لا تدوم ٠ وقضينا لآدم أن ينقسم عن ذاته ، فكان ذواتا ليس الى اتحادها من سبيل ٠ وأهوينا على قلبه غربانا تنهش منه وتؤجج في دمه الشهوة وفي صلبه بذور الخصب والطين ٠٠٠ وخلقنا له من ذاته صورة يضطجع اليها ويانس لطيفها ، وعاء بذوره وأصل شقائه كل حين ٠ وجعلنا سدوم مهد حلمه اذ اودعنا فيها سرنا فانبتت كل زوج وشهوة واينعت كل اثم ، وامتزج الدم والطين ٠٠٠ واطلقنا فيها آدم يقطف كل خير ويجنى كل اثم حرا ، حتى قامت الملائكة لتعلن ان قد أصاب آدم الضياع وانتابه الضلال المبين ٠ وكان ذلك ما أردنا لآدم ، نمتعه ونضله الضلال الاكبر ، ونخلفه الخلف الامين ٠٠٠

هاتــــف : (يقطع على النبى قراءته) : « وجعل الرب رأسها الى أسفل ورجليها الى أعلى واودع قلبها جيبها وفكرها بطنها وضميرها بيت الخلاء ٠٠٠ »

النبى بعلزبول : (يواصل قراءته) : والحمد «للفلس» من قبل ومن بعد ، وعلى الجاحدين اللعنة ، وويل للكافرين ! » ٠

ينزل بعلزبول • يعلو صراخ القوم وصياحهم من جديد كالسعالى • ويعتلى يوؤاش الحجر، ويخطب فى قومه •

يـــوؤاش : أرضكم ارض الخصب والدعة والسلام ، تباركهـا « الفلس » وتبعث « جلسد » فى شرايينها وعظامها الحركة والدفء مغدقة كحسناء معصر • وواديكم المبارك سـامن لابن تامـر ، هبـة « الفلس » لابنائها المخلصين • ولكنا ، أبناء سدوم ، قد غفلنا عن مغبش حط رحاله بيننا ، كمسيس يتآكلها القمل سائبة ، حتى أن « الفلس » لتكاد تجد عنا وتحفظ ••• فهلا خشيتـم العـدوى ؟! •••

يتزايد الهيجان والاضطراب •

صـــــوت : سحقا لها من شـاة !

صوت ثـان : لنمزقـن جلدهـا •••

يـــوؤاش : ذلكم هو لوط ، كثاقل من مرض ، ساقته الريح الى سدوم ، فاثاقل اليها و « الفلس » عنه واجدة حـافظة • فعليـه لعنـة « الفلس » ولعنتنا ! •••

يا ابناء سدوم ! ابنائى !

عليكم « للفلس » ونبيها حق الطاعة • و « الفلس » تطلب منكم أن تقدموا لوطا وآله لها قربانا ، وللنار طعاما !•••

الرجل الاول : (لصاحبه ، الرجل الثانى) : بعد أن احتفظ لنفسـه بابنـة لوط ! إذن ستكون الكاهنة العظمى الى أطوع منى الى رغبتى ! وسيكون جسدها أشهى من الخمر ، وأعذب من همســـات الشيطان ! (يرقص وحده)

ويندفع الحشد فى غضب وحشى وثورة حيوانية الى دار لوط • ثم يطوف بالمكان طائف من نور شفاف • ويـدور بتمثال « الفلس » ثلاثا ، ثم ينطلق صوت ، هاتف يملأ فضاء المكان رعبا وفزعا :

الهاتـــف : أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شىء ، وذلك هو الضلال البعيد ••• »

(يتبـع)

غيـــــلان

شعر : عبد الله كحلاوى

ارفع هذه القصيدة الى أخى الانسان الذى يؤمن بالفعل والارادة

عرفته فى دربى الطويل
بساعد مفتول
بجبهة سمراء
بسحنة شرقية جذابه
بنظرة عميقة نفاذه
عرفته فى دربى الطويل
يفتت الصخور
ويزرع المياه فى الفيافى
لتزهر الصخور
وتورق الرمال
باللوز والزيتون
بالورد والليمون .
عرفته فى دربى الطويل
– صغيرتى الجميله –
حويته فى قلبى العميق
بسده الطويل .
بسده الجبار
يعاند الرياح والقدر
يعاند الرعود والسماء
يواجه الفناء
ويبعث الحياة فى الصخور
فيرقص الربيع
وتزهر السنابل
فى كفه العريضه
فى ثغره الحنون
فى قلبه الوديع .
تقهقه الرياح يا صغيرتى
تزمجر العواصف
فتقصف السدود
تمزق الشراع
تمزق البحار .
ويقبل الصباح
فتنبت السدود من جديد
من ساعد مفتول
من جبهة سمراء
من قبضة حديد .
عرفته يعاند الرياح
لا يستكين
لياس سيزيف الشقى
تهده الجبال
تحده الصخور .
غيلان يا صغيرتى

بصبره الطويل
بصمته العميق
قد أضجر الرياح
وأتلف الأشباح
وفجر الآبار
بالحب والزيتون
بالكرم والغلال
في الكهف والقفار ٠
غيلان يا حبيبتي
كسنتياڤو (١)
غيلان يا صغيرتي
من زنده
من عزمه
من سده

فجرت ثورتي
بالنار تشتعل
لا ترهب المياه والبحار
لا تخاف
لا تنخذل ٠
غيلان يا صغيرتي
في الدرب يزرع الثمار والأمل
لا ينثني
لا يرعوى
قد أنبت الصخور
بالقمح والغلال
قد أقبر المحال !
قد أقبر المحال !

ع٠ ك٠

(١) سنتياڤو بطل قصة الشيخ والبحر لارنيست همنغواي ٠

جامع الحلفاء

قصة بقلم : محسن بن ضياف

كانت الشمس مشرقة ، ورغم أن الفصل خريف فان أشعتها تنبعث قوية حادة ، وكانت أشعتها تلامس الظهور المنحنية وتلفح الوجوه فى حنان كانها تشجع جموع النسوة والرجال والاطفال المنتشرين بين مرتفعات هذين الجبلين حيث يتدفق البرد كامواج البحر يسمع له هدير فى اعماق الاطفال والنسوة المنحنيات ٠

وجذب الزنايدى مجموعة خيوط الحلفاء الملتصقة بالارض ، وقد امتزج لون الصفرة بالخضرة فيها امتزاجا غريبا ، ولكن حفنة الحلفاء امتنعت عليه ، وأحس كانها تزداد تشبثا بالارض وازداد هو من ناحيته اصرارا ، وضم أصابعه بشىء من الغيظ وجذبها الى اعلى ٠٠٠ الى السماء الزرقاء الصافية التى لم تتخللها السحب منذ أسابيع ٠٠٠ وأحس أن كفه الورم بمفعول جذب الحلفاء يؤلمه ٠٠٠ رفع قامته ، فتح كفه ، نظر اليه ٠٠٠ مد بعينيه الذابلتين الى السماء الزرقاء ، لا أمل ٠ كأن المطر تحالف عليهم مع هاته الارض الجدباء حلفا طال عهده منذ أجيال وكانهما أقسما أن يذيقاه وأهله آلام الجوع ومرارة الفاقة ٠٠٠ بصق فى كفه بحقد وهو ما يزال ينظر الى السماء والصق كفيه بعضهما الى بعض واخذ البصاق ينتشر بين الاصابع المنتفخة والكفان يتحركان حركة آلية التذ لها الزنايدى وهى تبعث شيئا من النعومة فى يديه الخشنتين المشققتين ٠

ثلاث سنوات لم تات المطر ، حرثت الارض نثر فيها الحب ترقبت رحمة السماء ٠٠٠ أخذنى الشوق الى موسم الحصاد ٠٠٠

أصبحت أود أن يكون لنا موسم حصاد ولو كان هزيلا ٠٠٠ موسم حصاد لا كما تعرفه باجة وماطر ٠٠ ولكن طال الانتظار دون ما جدوى وازداد الشوق عتوا ثلاثة سنوات طويلة ٠٠٠

مسح يديه فى قشابيته وقد جفتا ٠٠٠ وخيل اليه انهما أصبحتا أكثر استعدادا لاقتلاع الحلفاء من هاته الارض اليابسة ، أحنى قامته من جديد مد اليد اليمنى نحو النبات البرى جذبه فى قسوة ، وبدا وجهه الاسمر الجامد الملامح أميل الى الزرقة واتسعت حدقتاه وارتسمت ملامح الالم بوضوح على

وجهه ، ولكنه لم يترك نبتة الحلفاء ، ماذا سيأكل ان لم يبع قنطارا او قنطارين منها ٠٠٠ ماذا سيقدم لاطفاله فى الغد ٠٠٠ انه الصراع الأبدى من أجل البقاء ٠٠٠ فلتزدد تشبثا بالارض ما شاءت فلن يتركها ٠٠ ولتوخزه كفاه ماحلا لهما ذلك فلن يتراجع

هو يفهم ويقدر أسباب امتناع هذه النبتة عن ترك تربتها ولكن لامفر من ذلك فقد جعلتهما الحياة وجها لوجه فاما أن يموت هو جوعا واما أن يكتم انفاسها بين أصابعه المورمة ويحرمها نعمة الحياة والتمتع بالشمس والثلوج والرياح السموم التى تهدهدها وهى بين هذه وتلك حتى تذوى وتموت نبتة عزيزة الجانب تتوسد تربة موطنها بعد أن قاومت بشمم الاعاصير والطغاة أمثاله ٠

رفع قامته وقد لانت حفنة الحلفاء وفارقت منبتها الى الابد ٠٠ ضربها ضربات خفيفة على ركبته ينفض عنها آخر ما ظل عالقا بها من تراب ونظر الى الشمس دون ان يشعر بها وبدت له السماء على ما هى عليه من صفاء وجمال أقبح سماء عرفتها البشرية وتحول ببصره الى خيوط الحلفاء ٠٠٠ لم يشعر بانتصار عليها ، بل على العكس من ذلك شعر بنوع من التعاطف والمحبة ازاءها ، شعور غريب يشبه ما يجده بعض الابطال من اكبار نحو اعدائهم الشجعان ٠٠٠ وبدا شعر لحيته التى لم يحلقها منذ خمسة اوستة ايام أطول من المعتاد وكأن لحيته لم تعرف الموسى منذ شهر أو أكثر ٠ وأسر فى نفسه فكيف يكون حاله وحال قومه منذ أجيال لولاها ٠٠٠ انما نمت أجسادهم وسال الدم فى عروقهم بما تدره عليهم هى من مال يتقاضونه مقابل أكياس منها يجمعها رجال ونساء شيب وشباب ٠ ان عضلاته هاته التى اقتلعتها منذ قليل انما هى مكونة من بنات جنسها ٠

وهبت موجة من البرد تحملها ريح خفيفة آتية من جبل الخروب فصدمت وجهه فى شىء من العنف وهو مازال قابضا على سوق النبتة البرية ٠ فخيل اليه فجأة انه أصبح هو الآخر نبتة عملاقة من الحلفاء جبلية تهدهدها الرياح وتمتد نحوها الاكف لتقتلعها ٠٠٠ وقف برهة صامتا لا يحرك ساكنا أمام هذا الشعور الغريب ٠ ثم مد يده بطريقة آلية الى الكيس يضع فيه حفنة الخيوط ثم استعاذ بالله من هذه التخيلات وأحنى قامته الطويلة ومد أصابعه الشاحبة المورمة ، ولكن موجة البرد لم تتركه يتمم حركته فتسللت اليه بأسرع مما يريد أن يتسلل هو الى طعامه فاحس ببرد قارس ينفذ اليه من خلال قشابيته من خلف فيلف فخذيه وعورته فى حدة فاستقام ٠

ووقع بصره بعيدا هناك على جبل السلوم الذى تدرجت قممه كمدارج السلم ثم انحدر ببصره الى احدى الربى القريبة فبرز له شبح امراة تحمل على

ظهرها كيسا وقد التف قدها الاهيف فى ملاءة بنفسجية اللون داعب الريح اطرافها فالتصق الجزء الامامي بصدرها الناهد بينما أخذ الجزء الخلفي منها يتمائل فى خفة خلف الساقين السمراوين العاريتين ، فعرفها بعد امعان نظر ٠٠٠ انها برئة زوجته ، فشعرها الناعم مازال محتفظا بسواده الحالك رغم السنين العجاف ٠٠٠ كم كان يثيره عندما ترجله امامه ، فى ايام السعادة٠ اما اليوم فقد أضحى الاهتمام بها وبشعرها أمرا ثانويا ولعه لم يتذوق طعمه منذ أمد بعيد ٠

فقد تقادم عهد زواجهما إذ مرت عليه ست سنوات أنجبت له خلالها ثلاثة أطفال وبنتا زادوا فى ارهاقه واشعاره باعباء الحياة ، ولكن أواصر المحبة ازدادت نموا وعتوا بينهما ٠

والقت الكيس على الارض دون أن تتفوه بكلمة ٠ ولامست عيناها الكبيرتان الوجه الاسمر ذا التقاسيم الجامدة وقد جلله شعر ، أسود فبدا لها كورقة ـ هندى ـ بشوكها الطويل ٠

لم يكن فظا فى طباعه ، وما كان له أن يكون كذلك وهى التى تحبه وتفخر بما يتحلى به من رجولة وعزة نفس ٠ ولكن تغيرت اخلاقه هاته الاشهر الاخيرة، فاصبح أقرب الى الوجوم والصمت لا يزيد فى حديثه عن كلمات متقطعة يقترها عليها تقتيرا او حركة من رأسه تفيد النفى او الايجاب ٠ لا بد أن يكون مشغولا بحب امرأة أخرى ٠ فقد تغيرت واصبحت أما لاربعة أطفال ، كما أنهك جسمي العمل ٠٠٠ فاين صدرى الناهد واين هى اعجازى الممتلئة ، لم يبق الا هذا الشعر الاسود الذى أصبحت أخشى عليه من بياض الشيب هو الآخر ، وعبثا حاولت معرفة هاته الغريمة٠٠٠ لا بد أن تكون أصغر منى سنا واكثر جمالا٠٠ آه لو أعرفها ٠٠ سأمزق خديها باظافرى وادمى جسمها بأنيابى وأفقأ عينيها بأصابعى بلا رحمة ٠٠٠ لعله يفكر فى الطلاق ٠٠٠ سأوافقه على طلبه ولكن سأقتلها ٠٠٠ لن يتمتع بها لن امنحهما هاته الفرصة ٠

كان ـ المريول ـ بسمة ـ المخطط قد تآكل واصبح لا لون له انما هو ترابى اللون فيه عديد من الثقوب والملاءة البنفسجية أصبح لونها باهتا شاحبا ٠٠٠ وبقعة سوداء كبيرة لعلها من الزيت قديمة العهد قد استقرت وأخريات أصغر منها وسط حجرها ٠

قلت لها أن تبقى فى الكوخ تهتم بالاطفال فامى امرأة عجوز وقد غدت عاجزة عن رعاية الاطفال ٠٠٠ فمنذ ثلاثة أيام عض كلب الطفل فرحات حتى كاد أن يهلك ولولا أخته نوى لكان الآن فى عداد الاموات ونصحتها بتربية بعض

الدجاجات ولكنها رفضت ذلك قائلة ومن أين لنا الحبوب لعلفها ، فهل وجدناها نحن ٠٠٠ هل تريدني أن أقضي يومي أعتني ـ بفلوس ـ لأبيعه بعد ذلك فلا يعيد الينا ثمن ما أكله من حب ٠٠٠ فهذه ابنتها مشدودة خلف ظهرها وعنقها ملتو في تراخ صوب الارض وهي تغط في نومها والبرد القارص قد لفح وجهها الصغير فجعله مشربا بحمرة رغم ما علق به من غبار ٠ ومد يده الى وجه ابنته يلمسه في حنان فركزت برقة ناظريها على اليد فرأت الاصابع المورمة فحولت بصرها نحو وجه زوجها ولكنه كان جامدا كهاته الارض المجدبة وقد تمازج التراب بالشمس والجليد تمازجا غريبا فوق وجهه ٠

وتعلقت بذراعه القوية ٠

لم يخبرني عن كفه ٠٠ الم يكن علي أن أفكر أنا في ذلك وهو الذي يعمل في اقتلاع الحلفاء منذ شهر ونيف تقريبا ، صباح مساء بدون انقطاع ٠ فلنعد الى الكوخ ٠٠٠ يكفي ما جمعناه اليوم ٠٠٠ انه لا يقل عن نصف قنطار ما جمعه كل منا ٠٠٠

صوت برقة كان كالنغم الهادىء الحزين انسكب في أذنيه وظل يتماوج في الفضاء حوله ٠٠٠ لم تضف شيئا الى ما قالته ٠٠٠ لم يحاول هو أن يبعد عينيه عن وجهها ، لقد كانت عيناها الواسعتان تتوسلان اليه في ضعف البدوية التي يأتي زوجها بعد الله في اجلالها وتعظيمها ٠ وأحس انه يتنفس هواء نقيا ملأ رئتيه لم يستنشق مثله منذ زمن بعيد ورأى قرص الشمس الأحمر المشع وزرقه السماء قرب وجه زوجته وخيل اليه أن صليب الوشام المحاط بعديد من النجوم الصغيرة على هيئة صلبان ازداد زرقة فوق جبهتها القمحية اللون ٠ وقال في نفسه كيف يكون حالنا نحن البؤساء الجياع لولا هاته اللقيمات من العطف التي يجود بها بعضنا على بعض من آن لآخر انها لن تشبع امعاءنا ولن تملأ بطوننا ولكنها تملؤنا شجاعة حتى نتغلب على مشاقنا ٠ وقد أحس فعلا أن باستطاعته أن يقتلع كل حلفاء هذا الجبل رغم الآلام التي تمزق كفيه ٠

لا يا برقة انه مازال علي أن أجمع ٠٠٠ عودي الى الكوخ ٠٠٠ وناولي الاطفال شيئا من الخبز ٠ ان كان لدينا ، أما أنا فسأعود مع غروب الشمس ٠ تركت الذراع واتجهت نحو احدى الربى هناك في صمت ورجلاها الحافيتان تطآن التراب والحصى في آلية تتحرك بطريقة تلقائية كأنها تقود هي صاحبتها ٠ وتوقفت عند شجرة ضخمة تملأ الفضاء بأغصانها الوارفة المتشعبة ، ولكنها لا تنتج شيئا من الثمار ولعل كل صلوحيتها أن تكون مورد حطب لهؤلاء البدو جلست القرفصاء خلفها تبولت ثم نهضت تواصل طريقها وابنتها ما زالت خلف ظهرها مشدودة اليها بخرقة ورأسها منحن صوب الارض في تراخ ٠

كان الاجدر أن يعود معى الى الكوخ فأدلك كفيه بشىء من الزيت ولكنه أصبح فى هاته الايام لا يستمع الى نصائحى ··· لعله يفر منى ·

كانت الشمس الباهتة مازالت تطل على الافق بقرصها الاحمر لا تثير فى النفوس غير الاشمئزاز والشعور بالشقاء ، رفع « الزنايدى » الكيس على ظهره واتجه وجهة مخالفة للتى اتخذتها زوجته منذ ساعة أو بعض ساعة ·

ان الكيسين ثقيلان كأنهما يحويان قنطارا ··· لا أقل من قنطار ··· نعم لا أقل من قنطار ثمنه خمس مائة مليم يأخذ منها نائب الشركة خمسة واربعين مليما ضريبة ··· او اجر العمال الذى معه ، لا أعلم على وجه الدقة ··· لمن تعود تلك المليمات الخمسة والاربعين التى يأخذها عن كل قنطار ولكن لا مفر من دفعها ، ثم أشترى ثلث شاى ومائة سكر ـ لعم بلقاسم أجرا لحماره الذى سأستعيره منه لاحمل عليه الحلفاء الى سبيطلة حيث نيابة الشركة ··· وهو أجر زهيد اذا قارنته بما يتقاضاه الجمال حيث يأخذ ثلث ثمن الحلفاء · ولن يتبقى لى أكثر من أربعمائة مليم وهى أجر عملى أنا وبرقة ثمن ما جمعناه البارحة وطيلة اليوم · سيشترى منها بضع سجائر يقسم كل سجارة منها على فترتين متباعدتين وشيئا من الخضر والدقيق والزيت ـ وثلث شاى وخمسين سكر ـ ويعود بعد الغروب بقليل الى الكوخ يجلس حول النار يترشف الشاى حتى تنتهى برقة من اعداد الطعام · وبمجرد انتهائه من العشاء ينام ·· انه متعب وجوعان ··· فلم يأكل طيلة اليوم غير قطعة من ـ الكسرة ـ دستها زوجته فى جيب · قشابيته ـ صباحا ، وأحس أن وزن الكيسين الذين يثقلان كاهله قد خفا وهو يفكر فى الشاى الذى سيترشفه عندما تكون برقة تتنقل فى رشاقة بين قدرها وأطفالها وهو ينعم بالدفء حول الحطب المشتعل المتصاعد الدخان منه بين آونة وأخرى الذى لابد قد جمعته زوجته الآن وهى تترقبه ·

كان الصمت مطبقا لا يسمع من أصوات الطيور غير أصوات الغربان تنعق فى هذا الفضاء المطلق تشكو وحدتها · وكانت ريح قاسية تحرك الاشجار القليلة فى عنف ـ وفجأة سمع شخصا يناديه

ـ زنايدى ··· يا زنايدى ··· الى أين ذاهب انت ·

وجه بصره صوب الصوت فرأى «بوعلاقى» جالسا على الارض وقربه ابنه الذى لم يتجاوز الخامس عشرة سنة يتوسطهما حمار صغير الحجم ضئيله أقرب الى الجحش فى هيكله قد برزت أضلاعه وتساقط شعر عنقه مطأطأ الرأس فى استكانة الحمير واستخذائها الى قدرها المحتوم ·

ـ بـو عـلاقى ؟

ـ الى أين أنت قاصد ربى يا زنايدى ٠

ـ للشركة أبيع ما اقتلعته وبرقة من حلفاء ٠

ـ هى عد الى كوخـك ، ولا تتعب نفسك ٠٠٠ لقد انهوا موسم الحلفاء ٠٠ انهـم أخذوا كفايتهـم ٠

ـ أنت تمـزح ٠

ـ هذان الكيسان لا يمزحان ٠

وأشار باصبعه الى الكيسين على ظهر الحمار ٠

وحدق فى وجه مخاطبه ، عيناه الصغيرتان تدوران ـ كمروحـة الريـح ـ وجهه النحيل يذكره اللقب الذى اشتهر به وازداد فى تلك اللحظة يقينا مـن صدقه ـ السبـوعى ـ أى ابن سبعـة اشهـر لم يمكث فى بطن أمـه الا تلك الشهور السبعة وسارع بالمجىء الى هاته الدنيا راغبا فيها عن بطن أمه كـأن له رسالة سيؤديها ٠٠٠ وكم هى عديدة ومتنوعة الرسالات فى دنيا البشر٠٠٠ فما من خبر غريب او شاذ او مؤلم الاكان هو المبشر به ٠٠٠ لا يعلـم كيـف يستقيه ويسبق الناس اليه كأنه وحى يوحى اليه ٠٠ فكأنه كاهن هاته الجبال لايألو ينذر هؤلاء البدو بلعنة الآلة ، وشرها المستطير ٠

رفس الارض بطريقة لا شعورية وتمخط بين أصابعه ثم ارسل المخاط فـى الفضاء ونظر اليه ببلاهة وهو يقوم بحركاته البهلوانية ليستقر على الارض غير بعيد ومسح أصابعه فى قشابيته ، وهو مازال محتفظا بالكيسين فوق ظهره ، ولاحت له من بعيد جماعة من النسوة والرجال محملين بأكياسهم لقـد بلغهـم الخبر اذن ٠٠ فهاهم قد تخلوا عن جمع هاته النبتة الجبلية ٠٠٠ فانفجر ضاحكا واسترسلت قهقهاته فى عصبية واهتز جسمه والكيسان اللذان فوق ظهره كأنه يؤدى رقصة على ايقاع ضحكته الهستيرية ٠

ـ ما الذى يضحكك يا زنايدى ؟

وقال الغلام مخاطبا أباه :

ـ لماذا لا نطبخ الحلفاء ونتعشاها الليلة يا أبى ٠

ـ سنجرب ذلك يا محمد ٠

انكم ستموتون يا بوعلاقى لو أكلتموها وستطلع عليكم شمس الغد وانتم جيـف كالكـلاب

ـ لسنا أفضل من الكلاب يازنايدى ، أنظر اليهـم أنظـر ٠

ومرت بهم الجماعة فى صمـت وان لم تبخـل عليهم بنظرات تفصح عـن معان تعجز عنها الكلمات ، واقتفوا خطاهم متجهـين نحو الدشرة يجرون أرجلهم مثلهم كأنهم يدفعون دفعا نحو أكواخهم ، وهو يردد :

ـ لقد انتقمـت ٠٠٠ لقد انتقمت

واقترب منه « بوعلاقى » وهو ماسك بمقود حماره الذى لم يلق عنه حمولته، انه لا يستطيع اعادة تلك الحلفاء الى الارض التى اقتلعها منها ، انها ما عادت مجرد نبتة برية تنشأ وتنمو على أكتاف هذه الجبال الجرداء ، انها عرق وورم وجهد أيام ، بل كلهم لا تطاوعهم أنفسهم على افراغ ما فى جـوف أكياسهـم ، والعودة على عجل الى أكواخهم وقد تخلصوا من احمالهـم ٠

ـ نعم لقد انتقمت منا الشركة ونائبها يا زنايدى ٠

ـ بل الحلفاء هى التى انتقمت منا ٠

ـ الحلفاء ؟ أنت جننت ٠

ـ الى متى سنظل على هاته الحالة نعيش على الحلفاء ، الى متى يابوعلاقى أليس فى الدنيا رزق غيرهـا ٠

ـ رزق غيرها ؟٠٠ هراء ٠٠٠ هراء ٠٠٠ اين هو فى السماء ام فى الارض هـذا الرزق ٠

ـ ليس الرزق فى السماء او الارض بل حاجتنا وعزمنا هما اللذان يحولان الاشياء الى مرتزق لنا وقوت لعيالنا يا ابن عمى ٠

م ـ ض

«في الكرنفال»

شعر : فضيلة الشابي

فِي "الكرنفال"
تلاقَتْ أجيالٌ وأجيالْ
فِي شَوارع المدينَهْ
اصْطَدَمَ جِسْمِي
بِملاَيينَ من البشَرْ
أجسَادُهَا لَنَتَّهْا مَعَاطِفُ زجَاجيهْ
على زوايَاهَا
تحطَّمَتْ أشعة شَمسيهْ
على زوايَاهَا
شُلَّ حلم سكن خَواطري
على زوايَاهَا الكثيفهْ
في ثنَايَاها السَّخيفهْ
ضَاع نداءْ
مبحُوحُ الصدَى
تبخر على الزوايَا الملسَاءْ
كقطَرَاتٍ مِن نَدَى ...

* * *

النَّاسُ تَدَثَّروا بِالزُجَاجْ ...
في شَوارع المَدِينة
في الشَّوَارع الحَديثَة والقديمَهْ
لِكي لا يسمعُوا أغنِية الارض العمِيقة الثَّقِيلَهْ

النَّاسُ تدثَّرُوا بالزّجَاجْ
لِكي لا يسمعوا أغنيةَ الجماهيرْ
لِكي لا يرَوْا صُراعَ الطفلِ مع الاعَاصيرْ
لِكي لا يرَوا رَأسِيَ المفتُوحْ
لِكيْ لا يرَوْا فكرِيَ المثقّلَ بالجُرُوحْ

* * *

النَّاسُ تَدَثَّروا بالزجَاجْ
ليتَحرّوا مِن الشِّتَاءْ
ليتَحرّوا مِن النِّداءْ
من نظرةِ ذللّتِ المجهُولْ
و آمنت باللاّ مُستحيلْ

* * *

النَّاس يخَافُون من العراءْ

* * *

النَّاسُ في سجُونهم الزّجَاجية
تجَاهلُوا وجودَ الحريّة
الصّارخْ ...
وقَالُوا : هي شيء مجرّد
هي فكرة أفلاطُونيه
النَّاس أمَام جثّةِ الحقيقَهْ
لمْ يقفُوا ...
لمْ يُصلُّوا ...
لمْ يقُولوا حتّى " رحَمَ اللهُ الحقيقَه "
إنّهُمْ قَتَلُوا الله
كَفَرُوا بالصّلاة
إنّهُم سيعطُون الجثة

للجيـــاعْ
إذ الجيـــاع كثيرة في الارضْ ...

* * *

في الكـرنفـــال
في شَوارع المـدينـهْ
كُنْتُ أمشي ... بين الجنُون الجماعي
جـرح عميـق يمشـي
يغلي في أعمـاقـه غضب وَاعِ
غضب الجماهير والجيـــاعِ
جيـــاعٌ
أعطتْ جثّـة الحقيقـة للسبـــاعِ

* * *

معطف النّـاس ... من زجـــاجْ
ومعطفي من قمَـــاشْ
يَقْبل الاشعّة والمَطَـــرْ
يخترقـه الرّصاص ولعنات البشرْ
تحت جنَـــاحه يتدفأ الحلمُ ... والحـرفُ
من دَم صارخ الوثبَـــات أحمـرْ
خالطَ دم الحقيقـة المسفوكْ
واجتازا مَعـا حُدُودَ الشُّكُـــوكْ

* * *

في شَـــوارع المـدينـهْ
المحتفلة بمولـد الاساطير الجديـدهْ
أجُـرّ وَحدتـي ...
بين أجسَـــاد لفّتهَـــا معاطف زجَـــاجيهْ
معَـــاطف قـديمـهْ

ف. ش.
68 - 12 - 22

لوحة صحراوية

قصة بقلم : سالم دمدوم

في يوم فاحم لافح بدأت السماء تغبر حتى لكأنها قشـرة برتقالة عفنـة وآربدت الاجواء غمائم سوداء من زيف السحب راحت تزداد دكنة وانحطاطا ، تتجول في الافاق كجيش لجب تحركه ظروف حرب ضارية ضروس ، نار ورماد ودخان وغبار وليست بالحرب هي ولا السحب الهـواتن ٠٠٠ تلك الصحـراء تعبر عن سورة غضبها في قدرة خارقة على التضليل والفتك والعبث والثورة ٠ وكان « سعد » سيد القافلة على ظهر جمله الاغبر احتزم في عباءته السميكـة والحال صيف واليوم حر ، ملثم الوجه تبدو من عينيه اشعة حـادة من الفطنـة والثورة والتمرد حتى لتحسبنه مرابطا فاتحا صنديدا في صرخاته يبدو العزم والشدة والهياج والثورة والجرأة ولا جرأة المصارع الروماني يهاجم الاسـود الكواسر ٠٠ ويصرخ في رجاله في عزم :

« احدوها لتزداد صبرا وتقوى فهي وليدة العواصف والاعاصير لا تبالي ٠ لا خوف عليها تطأ فيظ الرمضاء مثقلة حديدا وعتادا احدوها يا رجال ٠٠٠ »

وترفع عقيرة السائس بالحداء فاذا الجمال تحرك آذانها الصغيـرة وتنقطـع عن الاجترار تتسمع ثم تمتد اعناقها في اناة وخطواتها في عزم واصرار ٠٠ واذا الاعصار يدور على نفسه ويثير الغبار ويطير الحطب ويربد افقه في اعاصير لولبية تتصاعد الى قباب الافلاك او تكاد كما تفعل القنابل العظيمة تدك المصانع والمنازل وتطيرها غبارا وشظايا اعمدة بين السماء والارض من دخان وغبار ٠ والسعير لافح نهاش عضوض يفعل بالوجوه ما تفعله السياط بجلود العبيد ٠٠

وفي الجو حلقت غرابيب سود كالفحم ترسل أليم النعيق تطارد او تصارع جيوشا من عقبان راحت تدوم حول شيء ما تتصاعد وتتدانى وتقـع ثم تطير وتتجمع ثم تتفرق تحسبها مقاتلات نقاثة تدك مدفعية أعداء ٠

ومضت القافلة الى غور فسيح من رمال شكلت الرياح المتناوحة منها جبالا وآكاما وهضابا راحت ترسم عليها في عبث مرير زرودا كما تفعل النسمـات البليلة بالغدير ٠٠ وسرح سعد بصره في المنبسط المتلاطم امواجا من غبـار

ورمال ونظر الى كثبانه الصفراء تفريها الرياح الجنوبية اللافحة كما تفعل مياه الاودية بالآكام تمزقها وتبعثها مع التيار ماء كدرا وترابا ٠٠ وصاح فى الرجال:

« حطوا الرحال هنا واضربوا الخيام واتركوها ترع ما أمكن وهاتوا العتاد »٠

وفى الحين كانت الخيام تهتز مع الرياح فى ضراوة وتتمايل ركائزها كصوارى مراكب تغرق ٠٠ وأقبل الرجال بالعتاد يحملون معاول وقفافا وحبالا ومساحى وجواريف وعزما صلدا وارادة صادقة فى العمل والفوز ٠ يريدون وقف الزحف واقامة الحدائق الغناء فى واد غير ذى عشب لينشروا الخضرة اليانعة فى وجه الصحراء الرعناء العبوس ٠٠ يتبعون سيدهم فى تحفز يحملون حديدا كما تستنفر فيالق المشاة تدك الحصون ٠٠ وفى المقدمة ظهر مسعود اسود كالغراب يجر كبشا أليان سمينا بدأ يتشبث بالتراب وقد تجمد الغبار على مآقيه الدامعة ويثغو فهو الى مصيره المحتوم ينتحب ويبكى ولا رحمة ولا تقزز لدم يسفك ظلما وطوعا ٠٠٠ وعلى سفح ربوة بدأ سعد بين صخور متناثرة فى غير نظام قصير متين البناء ، رأسه مستدير كبير ، ووجه اسمر لحيم ، وقوائمه قصيرة ممتلئة لحما وعزما تحسب صدره صخرة غبراء بيده سيخ يتلمع على اشعة الشمس التى تجاهد اكفهرار الجو وعبوسه الاربد فى بأس٠ وهو فى انتظار الكبش والسكين تتلهف الى الدماء ومسعود يجر الضحية تساعده من الخلف عجوز فى ملاءة سوداء تحتزم حمرة حافية القدمين نسخة من سعد قوة ونشاطا وتمردا على لفح القيظ والاعاصير ، تدلى من عنقها فأس وشبكة وحبال كالساعية الى احتطاب ٠٠ وعندما تصل تشعل نارا فيتصاعد البخور فى هدأة ريح الى السماء متضوعا فى الصحراء فجا لا عطر فيه ولا يحرك من الانسان غير غرائز الخوف وقصص الشعوذات ٠٠٠ ويهوى السكين على الحروف فيندفع الدم الاحمر حارا ويتجمع بركة من الدم يكرع فيها مسعود ويعب كالكلب يلغ ويرفع سعد رأسه الى السماء فى خشوع وهمهمة دوتها غمغمة الكهان والسحرة اندعاما وانغلاقا ثم صاح :

أى رجالى ، هنا البئر يكون على هذا السفح الاجرد قريبا من السهل والرمال فيها ينصب وعلى يبسها وزحفها يقضى ٠٠٠ المعاول يا رجال انى اراها الآن هذه الواحة وأرى الخضرة تغالب اليبس ، والصحراء تنهزم وتتوارى !٠ سنوقف الزحف ونطرد الغربان سننشىء الخضرة ونربى الحساسين ٠ هيا ابدأوا ٠٠

ويقبل الرجال على العمل فالفؤوس صاعدة نازلة وصيحات التشفى والعزم تنزل وتصعد مع كل ضربة والمعاول والمساحى والجواريف كل فى جهاد وما هى غير ساعات حتى نزلوا بالبئر قامات وأقاموا عليها اعمدة ركائز طوالا ودواليب

في حبال وربطوا في القفاف اقلاسا راحت في صعود ونزول وفى القاع دوى المعاول والفؤوس فى أعماق الارض كغيظ مكتوم ٠

ويصيح سعد فى رجاله :

هكذا الجهاد فى الحياة او لا يكون ٠٠ ان السماء تبارك جهادكم والعزم والصبر ٠٠ وانتم المنتصرون اذا نجحتم أيها الشبان فلكم فى هذا الغور قصور سنبنيها وعرائس من القرية سوف تلتحقن بنا عندما يؤمن الكل باننا صادقون ٠٠ ولمسعود زنجية سوداء كلمة ليل تلمع اسنانها كفجر ٠٠ ثابروا يا رجالى فلا شرب ولا ماء إلا من بئرنا وإلا فنحن عطش ميتون ٠٠ »

ويشتد عزم الرجال ويتشبثون بالاماني ولا تشبث الصغار ويقترب الاعصار وتهب عليهم اولى زخاته فيشدون بالحبال يخرجون بها زنابيل التراب فلا تسمع الا صرير الدولاب وصيحات الحماس وتزداد الرياح مقاومة والرجال عنادا ويعمدون الى الاقلاس يشدون بها اجسادهم ويتمنطقون حتى اذا ما اتعبت الحبال ايديهم ابعدوها وجروا القفاف مثقلة طينا وترابا ولا اناة حتى وصل الاعصار بكل جبروته وقوته فى سحب سوداء داكنة رعناء تمطر ترابا اسود رمادا ويهدر الرعد هديرا فتهتز الدنى لهوله اهتزازا فتتكسر الركائز والاعمدة على جانبى البئر وتجر الاثقال الرجال الى الاعماق فيرتمى الكل على العاملين فى القاع ميتة مفاجئة سريعة وينتهى كل شيء ٠٠ ويحاول سعد ان يرى فلا يرى شيئا غير العجوز تقترب منه وتصرخ فيتشبثان بالصخرة القريبة جاعلين العباءة حجابا دون رماد يذر وعاصفة تمطر ترابا وحصباء تدمى وتعمى لحظات عميقة ألما وحسرة وهما حتى ذهلا عن كل وجود وعدم وراحا فى غير سبات ولا يقظة ٠٠ واذ يهدأ الاعصار ينظران فلا اثر لخيام ولا لبئر ٠٠ تجمعت الاتربة حوله كثبانا فاذا هو بينها كثيب ولا اثر للرجال ٠

وصاح سعد فى العجوز فاقد الرشد او يكاد :

« البئر اين البئر ٠٠ »

وتجيبه العجوز فى سخرية ونواح :

والرجال !؟ اين الرجال ؟ هل حفروا البئر وفجروا الماء فى الارض الموات ، وهل انتصروا ؟

ــ لا تسألى : هل انتصروا يكفى انهم بدأوا ٠٠ قلت اين البئر واين الرجال ؟

ــ لعلهم مسخوا غرابيب وعقبان اوان الارض امتصت دماءهم كما امتص مسعود دم خروفك السمين ٠

ـ هذه الارض ماصة مصاصة أكول ٠
بريئة هى الارض مما تقول انت الواهم المريض المتوهم ابدا امكانات زائفة٠٠
وتبلغ الثورة بسعد جنونها ويتوارى عقله الى بعيد فيصرخ :
ـ قلت اين الرجال والجمال يا حيزبون ٠؟!
فترتعش العجوز وتضطرب وتتقهقر أمامه وتصرخ :
ـ واين البئر والخضرة والثمار والحساسين ٠ الكل اوهـام فى اوهـام ٠
ويقترب منها اهوج ارعن ترتعش يداه وهما تشكلان وضع من يريد خنق انفاس ٠ ويشتد الرعب بها فتصرخ فى شبه جنون :
ـ اتقتلنى ٠ ابتعد عنى يا سفاك ٠
ويصيح بها :
ـ اين اين البئـر والرجـال ٠ لأحيلنك وهمـا فى هذه الحقيقـة الجـرداء اليابسة ٠٠

وتحاول العجوز ان تتكلم ولا كلام ! ان هى الا محاولة متخاذلة لفك قبضتين حديديتين ما زالتا تضغطان على عنقها فى اصرار حتى تتزاحم الالوان فى عينيها ثم يشتد الظلام فترتمى باردة صامتة هادئة آخر عشية عـابسة مريضة ٠!٠ ويصرخ سعد صرخة هائلة يبتلعها الوهد الممتد فلا يرتد لها صدى ثم يندفع الى الصخرة الكبيرة ضاربا عليها رأسه الكبير بكل قسوة وشدة ندما خيبـة امل وضياع جهود ٠٠٠ وتحوم غربان وعقبان جشعة تبحث عن جيف وشهداء ثم تتوارى الشمس وتنام الصحراء كعادتها قفراء موحشة يهابها الانسان ٠٠٠

س٠ د٠
ـ المحبوبين ـ
1969 ـ I ـ I

شاعر جوال

شعر : المنصف الوهايبى

عرفته فى قريتى الفقيره
مزارعا وشاعرا جوال
يحدث الأطفال
عن موسم الضباب والأمطار
فيحلمون بالضياع فى مزارع الزيتون
بطفلة سمراء ٠٠ حلوة العيون
تحتضن الأحرار
وتزرع النجوم يا صديقتى
فى الأعين الجميله
تمشط الجدائل الطويله
وسادة للفقراء
وعندما يلف قريتى المساء
تغفو النجوم فى جدائل الأميره
ويحلم الأطفال يا قديستى الأثيره
بالخبز والمطر ٠٠
فلن يعود يا قديستى
سرب الجراد الجائع
يبيد خضرة المزارع ٠٠
وينزوى الأطفال فى الأماسى
فى باحة الديار
يثرثرون
عن شاعر جوال
يأتى مع المساء
يحمل فى حقيبة السفر
بشائر المطر
وبذرة الحياة والعطاء
يقبل التراب والأطفال
فيولد الانسان والموال
فى قريتى الفقيره ٠٠
ويصنع الأطفال دمية حزينة الملامح
يرمقها الصغار فى جذل
ليهطل المطر
ويورق الزيتون فى المزارع الصغيره ٠٠
وتسكر المساء
« يا مطرا ٠٠ يا مطرا »
أغنية قديمة ترقى الهواء
تنسل من شباكنا الريفى
فى رقة الموال ٠٠ فى كآبة الخريف ٠٠
وتنزف الحروف من أصابعى
تبحث عن ضوء لموطنى الحزين الجائع
لأننى أريد يا أيتها الصديقه
حروف نار
تطيح بالجدار
وبالذين زيفوا الحقيقه
لكى يطل فى حياتنا قطار
محملا بالحب والأزهار ٠

م ٠ و ٠
كلية الآداب

قذيفة حمراء

شعر : شامة الخمير

أوراقــي تئــن
والحبــر والدمــوع
وحمــرة الأشكــال
تــراقصت
كأرجــل الشيطــان
أوراقــي تئــن
والحبــر والدمــوع
وأسطــر الهذيــان
تكلمت بأحرف النيران :
« الانســـان
يبغــى الحيــاة ! »
والنــور في الكائنــات
يفجــر الشـــرار
تفجيــر الشــرار هــز القلــوب
نســف الديــار !
أذرى الهــوان !
أوراقــي تئــن
والحبــر والدمــوع
والصمت والانســان ميت في خشــوع
والحــرف : حجــاره
تبنــي لــه القبــور
ولا تغــور
تعــال !
نلــق بالحجــاره
فــات الصحــاب
والنجــم ضــاع
والكــل يمشــي ... في قفــار !
مصــابيح نــار

وراءهم غربان
ابناؤهم
نساؤهم
آباؤهم
أزيز للشرار
فى حيهم قصور
أمست قبور
قذيفة حمراء
تهدينا الدمار

* * *

عيناك حبيبتى
تبكيان
والظلام !···
يخيفنى هذا الظلام
افاقت ··· وفى القلب التياع
اجابت
عيناك تنسيانى الضياع
لنمزج دمعنا هذا المساء
لندفن حبنا قبل الوداع
وداع التراب
ولف الذراع ···
عيناك تنسيانى العويل
عويل الذئاب
غدا سأضحى هشيما فى فلاه
ستنهشنى الذئاب
وترمى بهذى الورود الرياح
بكل البقاع
غدا تمزقنى الصقور
وفى نفسى
بقايا لعينيك
تبكى السماء
وقد ابنتنى قذيفة حمراء
غدا حين تبرد ··· آيادى الشتاء
وتعصر

مـن الصيـف الشفـاه
وتـذوى لأنفـاس الربيـع
وتحـرق
مـن فـرط حب قلـوب
ستلقـانى بين جنبيـك رمـاد
يـذوب فى سـؤال
أعينـاك جـودا نهـار !
ولـن ابكـى
لأنـى رأيت يمنـاك
شظيـة نـار
غـدا
ستـأتى وحيـدا هنـا
لتسجـد
بين الصخـور
ستهـرع الأشبـاح
وتمـد ... يـديك نحـو الظـلام
فى بـرود
ستلقـانى ضيـاع
لا شىء يحـوينى
حتى الفـراغ !
أذاب مهجتـى هـذا المسـاء
ولـن تقـول :
حبيبتـى امست ضيـاع
ولـف الـذراع ... قـذيفة حمـراء

* * *

أوراقـى تئـن
والحبـر والـدموع
واسطـر الهذيـان
تكلمت باحـرف النيـران
لـف اللهيب السطـور
لحـرق الـدموع
فى عـالمى انسـان
والحيـاة مـن اجمـل الـدمى
فى عـالم الانسـان لعبـة أطفـال

ش. غ.

اشياء لا تباع ···

قصـة بقلـم : عـلى الشملي

كان يتجول عبر شوارع المدينة الملتوية فى هذا اليوم الكئيب ، وكانت تغمره المرارة ويبدو عليه اليأس · انه يسير منذ الصباح الباكر تحت سيول من أشعة تجعله يبدو غير مكترث بما يدور حوله من ضجيج أو ازدحام ، انه لا يرغب الا فى اشباع رغبته المجنونة الملحة فى اعماقه ··· خطواته القصيرة مضطربة ونظراته التى زخرفها اليأس والحرمان مرارا عديدة تبعث بريقا من امل الشباب الساحر الظامىء الى الحياة ··· يداه تنقبضان وتنبسطان فى غير شعور منه ··· كآبته وصمته يصفان لكل من يعترضه ما يجيش بخاطره ويحدثان كل من يسأله عن رغبة جامحة فى نفسه ، رغبة العودة الى حضيرة اشغال اخرى بعدما انتهت اعماله من الحضيرة الاولى التى عمل فيها لاول مرة بعدما زعم أن الحظ خالف جميع مساعيه فى حضيرة الله التى عاشرها منذ شبابه وتجول فيها بزورقه وشباكه سنوات متتالية ···

لقد قضى نصف شهر فى البحث عن أى عمل يطفىء لواعج رغبته ويقتل ثعابين الاحتياج التى ظلت تترصده يوما بعد آخر ··· وشعر بأن حرارة الشمس بدأت تقتل فيه مقدرته على مواصلة السير فوقف وأسند ظهره الى جدار قديم واخرج من جيبه ورقة ظل يتأملها فلا يرى فيها غير سطور غامضة بالنسبة له ، وفكر فى الاهمية المتمثلة فى مراكز رفع الامية لامثاله من الاميين وتمنى أن يكون واحدا من الذين يحاولون الالتحاق بقافلة الحروف ولكن سيولا من الدراجات الزاحفة قرب الرصيف افاقته من ضياعه وغيرت تفكيره فتمنى أن يكون واحدا من هؤلاء العاملين العائدين الزاحفين من أجل لقمة العيش ··· نسى الزمن وأعاد الورقة بحركة بطيئة الى جيبه وهو يعلم أنها تمثل شهادة عمل تسلمها من رئيس الحضيرة الاولى ···

عاد الى بيته المتواضع واستقبلته زوجته كعادتها منذ أيام بنظراتها المتعطشة الى اية حركة من شفتيه ، الى اية كلمة · ولكنه كعادته طأطأ رأسه غير عابىء بتساؤلات عينيها متجاهلا حيرتها وتمتم : كالامس ، تماما دون أى فارق ··· وتقتفى خطاه متنهدة : ربنا يوفقك ···

ارتمى على مقعد خشبى وحاول أن يقاوم انهيار اعصابه وتلاطم افكاره فقال :

ــ أريد أن اعمل أى شيء أجده ، ان اتحصل على أى شيء

ــ لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يارجــل ...

ــ نعم وما كتــب الله لنــا ؟ !

ــ كتب الله لنا أن نبحث عن رزقنا فى حضيرة الله ولكنك شئت أن تبحث عنه فى حضيرة الناس أليس كذلك ؟ !

فوجه نظراته الحائرة فى صفحة وجهها الهادىء ثم طأطأ رأسه وقال بصوت حــــزيـــــن :

ــ نعم أردت أن ابحث عنه فى حضيرة الناس ، أردت أن أطرد الوحدة المرة التى عانيتها سنوات ...

ثم انتفض على قدميه وقــال :

ــ أريد أن اصحب ضجيج الناس ، أن أعيش مشاكل الناس ... أن افهم الناس ، أن أتطور مع الحياة ... أريد أن أتجول فى غير اسواق السمك والشواطىء ... نعم انى كرهت أن أتخيل الناس من بعيد ، انى كرهــت الوحدة التى عانيتها سنوات فى حضيرة اللــ...

ــ ارجوك يا رجل الست بائع السمك للجميع ...

ــ ألست الذى يمضى ليالى الفصول الاربعة خارج البيت... لا... لا... انى كرهت الليالى القارسة ورقصات الزورق فيها ، انى كرهت انتظار الليالى الهادئة ... أتفهمين انى أريد أن أعمل حيث لا خوف من السحاب ، من المطر ومن العواصف أريد أن أعمل حيث ...

ــ حيث شاء لك الله أن تعمل فتصرف جهودك كلها للعمل وحده ...

وقطع عليهما هذا الاندفاع فى الكلام طرق على الباب ، وعادت الام يتبعهــا الابن الاكبر الذى لايتعدى عمره الاعوام العشرة ... وأراد الاب أن يصرف اتجاهه الى شيء آخر فقــال :

ــ كيف كنت مع اقاربك ودروسك اليوم !

ــ كنت دائما الاول فى القراءة يا أبى .

ــ حسنا ، حسنا أريدك مجتهدا يا بنى ولا تنس الحساب .

مرر يده على شعر ولده ثم صرفها عنه واخرج الورق من جيبه .

ـ انت الاول اذا فهل تستطيع قراءة هذا ؟

ـ نعم يا أبى استطيع سوف ترى ٠٠٠

وامعن النظر فيها طويلا ثم قرأ بتقطـع : « تتوفـر فيه امكانيـات العمـل الجدى ، قادر على استعمال النقالة بالخصوص ٠٠٠ »

ـ انه صعب يا أبى ولكنى اعرف النقالـة ٠٠٠

ـ نعم انه صعـب ٠٠٠ لقد احسنت قراءتـه ٠٠٠

قطع الغرفة ذهابا وايابا وهو يصلى نار الحيرة والقلق ورفع البرنس القديم بين يديه وفكر ثم القى به ناحية وتمتم : ايام الشتاء مازالت طويلة ، وثمنه لا يسمن ولا يغنى من جـــوع ٠٠٠

كان مطروحا على فراشه الى جانب زوجته النائمة يحملق فى الظلام فلا يرى غير الاشباح المتراقصة على ايقاع انفاسه المتصاعدة فى اتزان منتظم ، وقـد تظاهر بالنوم لكى لا يحرم زوجته لذة الراحة ٠٠٠ كان يفكر فى اشياء غامضة والوحشة الممتدة حوله فى الظلام تزيده حيرة ، ونعيق البوم الذى يعزف لحن المرارة يملأ ذاته نقمة تذوب فى ثورة صامتة ، وخيال اللقالق التى تعودت أن ترفرف قرب شراعه جماعات نائحة تزيده خوفا وكرها لعمل رفض أن يربط به مصيره الغامض الكئيب ، وحظه الذى آمن به منذ صباه مازال يتصوره هناك بين حجارة وفى مغارات غار السعود فى شبه انحناءة ، يخشى كلما فكر فى اعانته على الاستقامة أن يعجز فينكب على وجهه ويزيد حياته تعقدا واضطرابا ٠٠٠ وقوالب السكر التى تعودت أمه ـ فى ايامها ـ أن توقظ بها ـ مكتوب ـ اطفالها وبناتها يخشى ـ ان حاول بدوره ـ أن تضيع بين الحجارة ليلتقطها الاطفال حينما يجدونها اثناء السباحة أو اللعب ٠٠٠ كميات كبيرة من السكر ذابت بين تلك الحجارة وشموع كثيرة اضاءت هناك المغاور وداعبت أمل العجائز وحتى الصغار ، والقضاء وحده وظروف الحياة توقظ الحظ أو تنيمه ٠٠٠

وعاد نعيق البوم موحشا يذكره بالليل والشـرود ويصـرف عنه اشـلاء الذكريات وأساطير الحظ والمكتوب التى لم يعد يؤمن بها ٠٠ فهو يعلـم أن الحظ فى العمل وأن العمل فى مجالات الحياة بكل ما فى العزيمة من طموح ٠٠٠ وامتلكه شعور غامض حين أعاده الى واقعه سعال احد ابنائه وشعر بأنه اخطـأ حينما لم يجعل الواجب فوق مرارة الظنون وصلب عينيه فى عالم الظـلام الاجوف لانه علم أنه لم يكن من اولئك الذين تولد معهم اتعابهم وأحزانهم ولكن أرادها فصنعها وهو يخشى أن يجعلها لا تجد طريقها الى الانسحاق النهائى ٠٠

وفجأة نهض من فراشه وألقى نظرة الى ناحية زوجته وابنائه الذين يجمعهم فراش واحد ٠ وشعر بخوف غريب لكن رغبة طغت على كل الهواجس فتسلل خارج البيت حاملا سلة كبيرة فوق كتفه ٠٠٠ ولم يشعر كيف قطع الطريق الحجرية الى البحر ، واتجه بحذر متناه الى زورقه الذى هجره منذ مدة فكرهه

ومع انبثاق خيوط الفجر الاولى افاقت زوجته فاصابها ذهول من فقدانه وتلاطمت فى رأسها الافكار مدة من الزمن ٠ لكن حركة الباب وهو يغلق جعلتها تسرع لترتمى على صدر زوجها العائد تمطره قبلات فى حين انحنى ليضع السلة المملوءة على الارض ثم يستوى ليضمها بين ذراعيه العاريين ٠٠٠ ويتركها للفرحة السابحة فى ابتسامة عينيها ليعود الى السلة يأخذ منها الشبكة ويضعها فى زاوية ثم يتجه نحو السوق حاملا سلته الثقيلة ٠٠٠

ع٠ ش٠
– المنستير –

الكهف والمطر

شعر : الطيب الرياحي

كان الأصيل غائما ،
والأفق البعيد قاتما حزين
والبوم قرب غابة الزيتون
ناعبة تستنطق الآفاق
وتسأل الرياح عن سحائب المطر
كأنها قد عاينت كآبة البشر ··
وكان قرص الشمس مصلوبا على التلال
من بعد ما قد صهر الحجر
وذوب السموم فى الأوصال
وخلف الرماد فى الأعماق ··
وكان صوت الضعف فى قريتنا ،
تبعثه الأحياء :
« الغيث يا رب السماء ! !
قد رحل الخريف دونما أمطار
وأجدبت ودياننا
وآحترقت أعصابنا
لم يبق إلا الضجر المقيت والأكدار
ودعوة نعيدها :
الغيث يا رب السماء ! ! »
وكان تحت السور شيخنا المختار
منكمشا كدودة داهمها الشتاء
وكل ما يملكه حنجرة منخوره
وجبهة عريضة مجدوره
لا تعرف الأمطار والغيوم
وجبة مكية خضراء
تلفها رائحة الشحوم ··
والناس يعرفون شيخنا المختار
يحكى لهم للبسطاء المنخورين
عن مهبط الأنوار
عن خالد ، عن غزوات المسلمين
وردة الكفار والمتاجرين ···
وأقبل المساء
والناس بعد يهتفون :
« الغيث يا رب السماء ! »
فقام للصلاة شيخنا المختار
يسبقه عكازه المختار
والتمتمات والبصاق
وسار خلفه أولائك الرفاق
الساترون عارهم بالكتب القديمه
والمجد والتاريخ والهياكل الموشومه··
وعاد بعد حين
يتبعه الرفاق خاشعين
والناس بعد يهتفون ··
فآنتفخت عروقه وصاح فى جنون :
« لا تعرفوا الأكف للسماء
لا تسألوا ما بالها قد شحت السماء
والله فضله عظيم
لا تسألوا ··· فأنتم حجرتم الغيوم
ولتخرسوا ولتأكلوا الحجر
قد وقعت على العباد لعنة القدر
لأنكم خلعتم الجلاله
عن صاحب الجلاله
ألبستموها للسلطان
وبعتم الحديث ·· بعتم القرآن

بالعطر بالأصباغ بالجرائد
لو أنكم لم تهجروا المساجد
لو لم يدنس أرضها النصارى
لو أنكم لم تسلخوا العباره
لو أنكم لم تهملوا الأثر
لما تحجرت فى أفقنا الغيوم
وضنت السماء بالمطر
لا تسألوا ، لا تعجبوا
حقيقة من أجلها قد حبس المطر
والله يرزق العباد الصالحين
القانعين بالقليل المؤمنين
الساهرين ليلهم مسبحين .. »
وفجأة دمدمت الرعود
فشدت الأسماع نحوها ،
وانتحر الشرود ..
وارتعدت فرائص المختار
واصطفقت عظام وجهه المجدور
فخلف الرفاق تحت السور
وغاب فى دوامة الاعصار ..
وبعدها زخ الحليب من ضرع السماء
فانتفضت من موتها الاحياء
وابتسم الزيتون
واندفع الكبار والصغار
كالماء فى الساحات يرقصون ...

* * *

يا جالسا فى الشمس تحت السور
يا نافخا أوداجه ونصفه منخور
يا جاعلا من يومه ميدان
يصول فيه خالد وصحبه الشجعان
لو كنت مسلما كما تقول
لو كنت عاملا بسنة الرسول
كنت غسلت ذقنك الطويل
والجبة المكية الخضراء
كنت تركت السور والجدال
كنت حملت الفأس كالرجال
كنت ذكرت رحمة السماء
يا ذابحا فى أرضنا الرجاء
يا شبحا أغفله الزمان
يا أيها الكهف الذى يسكنه الشيطان
لو كنت أستطيع
حكمت بالموت عليك ، بالموت الشنيع
ليسعد الأطفال
ويشرق الربيع فى عيونهم ،
وتزهر الآمال ..

ط. ر.

عودة السندباد !

شعر : عبد الرحمان الكبلوطي

(1)

بالرغم من بعدى عن المدينه
بالرغم من خواطرى الحزينه
ومن رياح البحر فى اعتراضها مسيرة السفينه ،
أهفو الى عينيك يا رفيقتى الأمينه
أحس أن فيهما آلامى الدفينه
وفيهما « رصيد » ذكرياتنا بروضة المدينه ...
بالرغم منى كانت القطيعه
بالرغم منى غبت يا حمامتى الوديعه
أهدتنى الأمواج لعبة الى الرياح
فصرت مثل طائر يعلو بلا جناح
وخفت يا حبيبتى أن لا أعود ...
بعدما آغتربت
الى التى لحبها خلقت
الى التى من قلبها ارتويت ...
وخفت أن أفنى ولا أراك يا صديقتى
بأنهج المدينه
وخفت ألا تشهدى قلبى وراك يلهث
كسابح يلاحق السفينه
ـ يحب أن ينجو من مخالب الفناء
فيسرع الخطو الى عوالم الضياء ـ

إليك قلبي يرجع
الى حماك يسرع
فلا تلوميني اذا فضحت سر قلبي
وجئت بعد رحلتي مصرحا بحبي

(2)

غدا يعود السندباد بعد ما بلاه
بحر خضم ، هائل ، يخشى الملا أذاه
غدا يعود حاملا في يده الحقيبه
بيضاء في أرجائها هدية الحبيبه ٠

ع٠ ك٠

حمام الانف في 22 جانفي 1969

أهدانا مشكورا القصاص الشاب

عبد القادر بلحاج نصر

كتابه :

الزيتون لا يموت

وهي القصة التي نالت جائزة بمناسبة ذكرى 9 أفريل 1938

حكاية قلم

شعر : أحمد المختار الهادى

مرفوعة الى (خ)
التى أعطتنى قلمها الأحمر

أفديك أيا قلمى الأحمر   بشباب شبابى بل أكثر
أو أغفل عنك وصحبتنا   هى بعض نهار أو أقصر
حملتك إلى وراحتها   عطر يتضوع من أعطر
حملتك إلى أما تدرى   كم كنت تجدف فى العنبر
فكطفل تكتب ما تملى   وتنام تنام على المرمر
ما همك يوما دنياها   فمداك هنالك فى المئزر

* * *

قلمى والبيت ووحدتنا   وأنا بجوارك كم أضجر
أو تسهر قل لى من أجلى   أو تسهر قل لى هل تسهر
لتبيع ربيعك يا قلمى   بخريف أسود أو أصفر
بعوالم أخرى لا تحصى   لا باطن فيها لا مظهر
ببحار أكبر من ظنى   بحار فيها ما أبحر
أتعود تعود لصحبتها   لمداك على الحضن الازهر
وتقول سئمت توجعه   كم ضيع منى كم حبر

* * *

ضحك المسكين فلا أدرى   أتراه يحبذ أم يسخر
وروى لى قصة ماضيه   ما صنف فيه وما سطر

* * *

ماضيك طفولة أغنية   كربيع مبتسم أخضر
والآن الآن نفسرها ...   معناها الآن غدا أكبر

* * *

شفتاك صغيرة فى قلمى   همتا بالدفء وبالكوثر
كعيونك حين تمزقنى   يا حلوة بالهدب الأسمر
كيديك ورعشة أنملها   لتمد لى القلم الأحمر

أ. م. هـ.
ـ أم العرائس ـ

موعد مع الجمال المطلق

شعر : عمار بن منصور

سنلتقي ، سنلتقي   غدا وراء الأفق
في موعد يجمعنا   مع الجمال المطلق .
جوبي الفضا وحلقي   على متون الشفق
دعي حياتي كالضبا   ب ، كالهبا وانطلقي ،
دعي حياتي للضياع   للشقا للقلق !
فانما أشد ما يؤلمني   أن تشفقي !
قد التقينا وافترقنا   مثلما لم نلتق ،
هل تعرفين موعدي   مع الجمال المطلق ؟
يا لحظة اللقاء والوداع والتمزق !
كأن قلبي منذ أن   تم اللقا لم يخفق ،
تركتني بين السما   والأرض كالمعلق ،
ما بين شوق باهت   وبين شوق محرق .
فالكون بعدما افترقنا مثل سجن ضيق
سنلتقي ، سنلتقي   غدا وراء الأفق ،
في موعد يجمعنا   عند بلوغ المطلق !
الشمس ، لو لم نلتق   كأنها لم تشرق !
والأرض ، لو لم نلتق   كأنها لم تخلق !
لأن قلبي واثق   بأننا سنلتقي .
في موعد يجمعنا غدا وراء الأفق .

ع. م.
ـ قابس ـ

مطالعات

مدينة المنستير في اواخر القرن الماضي

« من خلال وثيقتين تاريخيتين »

بقلم : أبو بكر عبد الكافي

من المحقق تاريخيا ان اول مجلس بلدي أسس بتونس هو مجلس بلدية العاصمة الذي احدث في غرة محرم سنة 1275 هـ. 1858 م. وجعل من مشمولات نظره رعاية المدينة من حيث النظافة والصحة العامة والبناء وتوسيع الطرق • ومهمة امناء المعاش ، وأول رئيس له هو أبو عبد الله حسين أحد اعيان المماليك (1) •

ويبدو انه لم تؤسس مجالس بلدية في غير العاصمة من المدن التونسية الا بعد الاحتلال الفرنسي ببضع سنوات ، وثبت لدينا ان سكان مدينة صفاقس كانوا قبل الاحتلال بعدة سنين كونوا فيما بينهم جمعية بلدية تعاونية غايتها السهر على رعاية المدينة من حيث النظافة وردم المستنقعات في فصل الامطار الى أن تأسس المجلس البلدي بعد الاحتلال بثلاث سنوات 1884 م. (2) •

وما حدث بصفاقس حدث مثله في مدينة المنستير انما كان بعد سنتين من الاحتلال الفرنسي ، وكان ذلك إثر طلب نائب المجلس الصحي ونواب قناصل الدول الاجنبية الذين وجدوا التجاوب والتأييد من السكان انفسهم • ووقعت بايدينا وثيقتان (3) تاريخيتان ترويان لنا قصة مدينة المنستير في آخر القرن الماضي ، وتفتحان امامنا نافذة نرى من خلالها حارات المنستير وازقتها واسواقها فاذا نحن نتعرف على اسماء تلك المعالم وعلى اماكنها ، ونتعرف كذلك على الجاليات الاجنبية التي كانت بها وجنسياتها •

(1) ابن أبي ضياف ج 4 ص 255 ط كتابة الدولة للشؤون الثقافية •
(2) راجع ج 1 من تاريخ صفاقس •
(3) هاتان الوثيقتان مكنني منهما تصويرا ودراسة صديقنا الفاضل السيد أحمد الجلولي وجدهما بتراث اجداده الكرام آل الجلولي المشهورين بالتاريخ التونسي •

واولى هاتين الوثيقتين رسالة ادارية اعلامية وجهها خليفة المنستير الى المكلف بعمل الساحل وتتضمن الاخبار عن حصول اتفاق اثر اجتماع غايته الاهتمام بنظافة المدينة ورعاية صحة السكان ٠

وثانية الوثيقتين عبارة عن كراس شروط حددت التراتيب الضرورية فى حق الذى يقوم بذات العمل او حق السكان ٠ وفيما يلى نفصل الحديث عن الوثيقتين ٠

الرسالة :

هذه الرسالة وجهها خليفة المنستير المرحوم **صالح مزالى** الى المكلف بعمل الساحل المرحوم أمير الإمراء **حسين بن محمود بن بكار الجلولى** المشهور بحسونة الجلولى (4) ٠

وبها 42 سطرا بكل سطر بين 10 و 12 كلمة وكتبت بخط تونسى عادى على ورق بسيط حجمه 16 × 42 ٠ ولغتها سهلة ممزوجة **باللغة التونسية بها** اغلاط كثيرة وتحريرها ضعيف ، شان جل رسائل ذلك العهد ، وهى مذيلة بامضاء الخليفة صالح مزالى ومؤرخة فى 15 شوال 1301 هـ. (1883 م.) ٠

وننقل بعض فقرات منها لنتحقق الموضوع الذى عالجته ، جاء بأولها بعد الديباجة (5) :

« فى هاته الايام اتفقت أهالى المنستير وسكانها من الاجانب بواسطة نواب قناصلهم على نضافة (!) طرقات البلد وأزقتها من الاوساخ والقذارات (كذا) حيث كثر بها ذلك ويخشى من ابقاء ذلك تغيير فى الهواء بسبب ذلك ، واجتمعنا فى هذا الشأن عدة مرات مع المشائخ واعيان البلد ونواب قناصل الدول الاجانب » ٠

فالموضوع الذى وقع من اجله الاجتماع هو السعى فى تنظيف طرقات البلد من الاوساخ المتكاثرة ٠ التى صارت تهدد صحة السكان ٠ والذين ضمهم

---

(4) حسين الجلولى كان تولى على عمل صفاقس عدة مرات آخرها عام 1296 هـ. واثر احداث مقاومة صفاقس لجيش الاحتلال الفرنسى سنة 1881 م. ــ 1298 هـ. كلف بعمل سوسة والساحل بما فيه المنستير ٠

(5) ننقل هذه الفقرات بنصها بدون اصلاح او تغيير طبق الامانة التاريخية ٠

الاجتماع هم اعيان البلد ومشائخها ونواب قناصل الدول • وفى فقرة ثانية من الرسالة زاد نائب المجلس الصحى الذى عبر عنه بنائب السانيطة (La santé) وبين جنسية كل جالية اجنبية حضر نائبها :

« وهم نائب قنصل الفرنسيس ، ونائب قنصل الانقليز ، ونائب قنصل السبنيول واعيان من الطليان حيث لم يكن لهم نائب قنصل هنا ونائب السانيطة بالمنستير وزوج اطبا (!) من الاجانب » •

وخاض المجتمعون فى ايجاد المشروع وابرازه للوجود وفيما يلزمه من تمويلات وهل يتبع فيه نظام « اللزمة » فيلتزمه ملتزم بثمن معين او بالمزايدة ويتولى هو استخلاص المعاليم من السكان ، او ينتخب له رجل ثقة من بين الاعيان ليشرف عليه ؟ وبعد الحوار كان اتفاقهم حسبما صرح به فى الرسالة :

« ووقعت المحاورة فى هذا الشان عن توزيع الدراهم التى تلزم لمصروف ما ذكر وهل يقع تلزيمها لمن يرغب فى ذلك او يتكلف بذلك احد من الاهالى وآل الامر ان وقع الاختيار على تكليف احد من الاهالى ليقف فى هاته المصلحة فى خلاص دراهم المصروف وتخديم اناس فى نضافة ما ذكر وانتخبوا لهذا الامر المكرم الاجل القارىء الحاج حسان بن الحاج حمودة مزالى وجعلوا له اجرا فى كل شهر عده 75 ريالات [75 ريالا] ووقع الاتفاق على شروط يلزم المكلف عملها كما وقع توزيع دراهم المصروف على الملاكة من الاهالى وغيرهم بحسب ما لكل منهم من المحلات وقدر الدراهم التى وزعت قدر عده 800 ريالات [800 ريالا] وهى التى تلزم فى كل شهر على سبيل التقريب » •

والشروط التى وقع الاتفاق عليها هى موضوع الوثيقة الثانية التى سنتعرض لها ، وقبل ذلك نتأمل فى هذه الرسالة من جانب آخر لنرى ونتحقق الداعى الاول لهذا المشروع الذى كان يلح فى تكرار على ممثل السلطة فى وجوب العناية بالصحة العامة ، ووجد السكان فى موقفه اعظم عون لهم فيما كانوا يتذمرون منه فى حياتهم اليومية حتى اذا تم الاتفاق وشرع فى تنفيذه عمت الافراح بينهم وتبادلوا التهانى •••

ان المتسبب الاول هو الذى عبر عنه مرة بنائب مجلس التحفظ وعبر عنه ثانيا بنائب السانيطة اى – ولا ريب – المجلس الصحى • وهذه الفقرة التى نستنتج منها ذلك كله ، والخطاب فيها موجه للمكلف بالعمل :

« وقبل هذا عرفت جنابكم بما طلبه نائب مجلس التحفظ بالمنستير من

اخراج الشـوالق (6) الموضوعة عند بعض اناس المحلات بداخل البلد وعدم قبول الغلل (7) التى لم يبلغ ابان طيابهـا وآذنتنى سيـدى بان نكون موافقـا للنائب المذكور على ما ذكر وكان هذا كذلك وقد عرفنى النـائب المذكور الان بانه عرف رئيس مجلس التحفظ على طريق التلغراف (8) بوقـوع النضـافة بالبلد مثل ما قررناه كما انه عرفه فى شان المسلخ بان محله لا يليق حيث انه قريب من البلد امام الباب المعروف بباب بريقشه الجديد ويلصق فندق الغلة وهو محل اجتماع الناس والباب المذكور به نواب الكمسيون (9) لاستخلاص معلوم النعمة ، وان رئيس مجلس التحفظ اجابه بالاستحسان فى نضافة البلد وان يتكلم معى فى شان المسلخ ٠٠٠ لان ابقاءه هناك فيه ضرر على النـاس ولربما ينشى من رائحة وسخه فساد الهوى » ٠

ويبدو ان موقف مجلس التحفظ لم يكن ناشئا عن وجوب العناية بصحة السكان التونسيين انما كان ذلك اجابة لرغبة الجاليات الاجنبية الذين تشكوا كثيرا من عدم رعاية الصحة العامة وعلى الاخص من الروائح الكريهة المنبعثة من المسلخ وجاء فى هذا الموضوع :

« **ان هذا المسلخ وقع الكلام فى تنقيله مرارا ولم يتيسر وغـالب الطالبين لتنقيله هم السكان من الاجانب** » ٠

وتعذر نقله لعدة اسباب اهمها التكاليف المالية ٠٠٠

الـوثيقة الثـانية :

يمكن لنا ان نعبر عنها بكراس شروط تضبط المشروع من حيث تنظيمه وتمويله وتحديد مسؤولياته ٠ وهى من حيث اللغة والتحـرير والخط وحجم الورق مثل الاولى حتى انهما يكادان يكونان وثيقة واحدة لـولا انفصـالهما جسما وموضوعا ٠٠ فالاولى رسالة والثانية قانون ٠٠٠

وهذه الوثيقة تتكون فى مقدمة وسبعة فصـول ، فالمقـدمة اوجـزت معنى

---

(6) الشوالق الخرق البالية ٠
(7) الغـلال ٠
(8) احدث التلغراف بتونس سنة 1859 م. ٠
(9) الكمسيون هو الجمعية المالية التى كونها الصادق باى لضمان ما للاجانب من ديون على الدولة وفوض له ادارة المال وجباية البلاد عام 1868 م. ٠

الفصول السبعة ولتعميم الفائدة أرى ادراجها بحذافيرها بين يدى القراء وعلى الاخص الباحثين منهم . وهاكم هى :

الحمد لله   نسخة جريدة وردت من المنستير

بيان الشروط الواقع عليها الاتفاق فى نظافة طرقات المنستير وازقتها مع بيان ما يجب عمله على من يلتزم ذلك ويتكلف من الاهالى بنظافة ما ذكر وما هو واجب على الملاكة والمكترين وتشتمل الشروط المذكورة على فصول حررت هنا فى شوال سنة 1301 هـ. :

الفصــل الاول

يلزم كل من الاهالى والسكان من رعايـا الاجـانب وغيرهم على اختـلاف اجناسهم الدخول تحت الشروط الآتى بيانها واداء ما يجب على كل منهم لمن يلتزم او يتكلف بنظافة ما ذكر بحسب ما يظهر للجمعية تـوزيعه عليهم على نسبة تملكهم وما يتصرفون (10) فيه على وجه الكراء .

الفصــل الثــانى

اذا ظهر للجمعية تلزيم اللزمة المذكورة فلا يلتـزمها الا من هو من رعايـا تـونس .

الفصــل الثــالث

يجب على من يلتزم اللزمة المذكورة او يتكلف بها بوجه انتخاب ان يرفع ما يحدث بالبلد من الاوساخ والقذرات يوميـا والبـدوء فى رفع ذلك من اول النهار الى الساعة العاشرة قبل الزوال من كل يوم بل الى ان يتم ذلك . وفى وقت الشتاء عند تجمع الاوحال (11) بالشوارع والازقة يلزمه قرشها (12) ورفعها الى محل رمى الزبلة وهو شاطىء البحر تحت سيدى عمر مخلوف .. كما يلزم فى مدة خمسة اشهر اولها مايه (13) العجمى وآخرها اشتنبر رش

---

(10) فى الاصل (وما هم يتصرفون فيه) .
(11) بالاصل عند اجتماع الطبعة .
(12) هكذا بالاصل والمراد ازالة ما يتكون من الاوحال بارض الطريق ، وفى اللغة قرش الشىء جمعه من هنا وهنا وضم بعضه الى بعض .
(13) من 13 ماى الى 13 سبتمبر .

المحجات (14) الاتى بيانها بالماء وهى من سوق الباب الجديد الى باب سوق الربع ثم ينعطف الى زنقة الحمام ومنها الى حومة الجبانه الى ان يصل الى السوق ومن الناحية القبلية من سوق الباب الجديد الى باب بريقشه وينعطف الى حومة الشراقة داخل فى ذلك المنفذان الموصلان للسوق من الحومة المذكورة ٠

الفصل الرابع

يستثنى على من يلتزم اللزمة المذكورة او يتكلف بها من ازالة الاوساخ (التى يتحملون ازالتها) (15) رماد ديار الصابون ونقوض المرمات (16) ورماد الفرانق وأنقاض الخنادق والمرحاضات والغبار المتجمع بالفنادق والديار والمخازن فان جميع ذلك يرفعه اربابه (17) ٠

الفصل الخامس

دفع الدراهم لمن يلتزم اللزمة المذكورة او يتكلف بها يكون اقساطا عند انتهاء كل شهر قسط ، غير انه بعد تمام الشهر الاول يدفع له نصف قسط فقط وعند انتهاء الشهر الثانى يدفع له النصف الثانى من القسط الاول والنصف الاول من قسط الشهر الثانى وهكذا يبقى القسط الثانى من كل شهر متأخرا احترازا من ان يتأخر اللزام او المتكلف [عن القيام بواجبه] او يظهر خلل فى خدمة ما يجب عليه عمله بمقتضى الشروط المذكورة ٠

الفصل السادس

على الاهالى والسكان ان يبادروا بدفع الدراهم الموزعة عليهم لاجراء هذه المصلحة العامة التى هى فى حفظ ابدانهم ونظافة بلادهم وان يخرجوا صباح كل يوم ما بمحلاتهم من الاوساخ ويضعونها امامها ليرفعها اللزام او من يتكلف بذلك بحيث اذا يرمى احد من الاهالى او السكان شيئا من الزبلة او الاوساخ من بعد دخول الساعة العاشرة التى هى قبل الزوال الى صباح غد ذلك اليوم فانه يجرى عليه ما يستحقه من العقاب زجرا له عن مخالفته ٠

---

(14) المحجات ج محجة والجمع الصحيح محاج والمحجة هى جادة الطريق اى وسطه ٠

(15) فى الاصل هكذا « الذين يتحملون بها » ٠

(16) اشغال البناء ٠

(17) ديار الصابون – مصانعه الفرانق واحدة فرناق وهو فرناق الحمام اى المكان الذى يشعل به النار لتسخين الحمام – المرحاضات : المراحيض – الغبار ارواث الحيوان – الفنادق ج فندق وهو الاصطبل ٠

الفصل السابع

يجرى العمل الآن فى نظافة ما ذكر على مقتضى هذا الاتفاق والشروط المقررة به الى ان يقع انهاء ذلك لجناب الدولة المحمية التونسية واذا ظهر لها اعزها الله ابطال هذا الترتيب او تغيير شىء مما هو مقرر بهذا الاتفاق بزيادة او نقص او تعويض ذلك كله بانشاء مجلس بلدى للنظر فى مصالح البلد فانه لا كلام للزام فى ذلك بوجه من الوجوه وليس له الا ان يطلب خلاص ما يبقى له من الاقساط عن مدة خدمته فقط واذ ذاك ينفسخ هذا الاتفاق راسا ويجرى العمل على ما يقتضيه النظر السديد ٠

حررت الشروط المذكورة باتفاق المصححين اسفله كما ان من يلتزم هاته اللزمة او يتكلف بها يصحح باسفل هذا ايضا اعلاما منه باطلاعه على تلك الشروط والدخول تحتها وتحمله بما هو واجب عليه فيها زيادة على اشهاده العدالة بذلك ٠

تعليق

1 ـ ان هذا المشروع الصحى الذى تحدثت عنه الوثيقتان يمكن لنا اعتباره أول شروع فى تأسيس بلدية المنستير ، وعرف بكلمة « جمعية » حسبما ورد فى الفصلين الاول والثانى ٠

ـ انتهى ـ

2 ـ من المؤكد ان بلدية المنستير تأسست بعد سنة 1301 هـ. 1883 م. اى بعد هذه « الجمعية » ٠

3 ـ ان نسخة الوثيقة الثانية هى نظير من نسخة اصلية ممضاة من طرف المتفقين وطرف الذى تعهد ان يقوم بالعمل الحاج حسان مزالى ٠
اما الوثيقة الاولى فهى الاصل ٠

4 ـ وردت بهاتين الوثيقتين اسماء لاماكن واسواق مثل باب بريقشه ـ حومة الشراقة ـ حومة الجبانة الخ٠ يمكن للباحث بتعرفه عليها ان يزداد تعرفا بمدينة المنستير فى آخر القرن الماضى ٠

5 ـ عبر الكاتب فى عدة مواضع عن السكان الاصليين بكلمة ـ أهالى ـ وأهل البلد ـ وعن الاجانب بكلمة ـ السكان ـ السكان الاجانب ٠

6 ـ رغم ان المجتمعين كانوا من اعيان البلد ومن الاجانب ٠٠ فان هذه « الجمعية الصحية » لا يتولى مهامها الا من كان من « رعايا تونس » ؟ ولا بد ان توافق على تأسيسها « الدولة المحمية التونسية » ؟

بريد القراء

ص ب 556

السقف طار !

بقلم : عبد القادر الطرابلسي

ما أشد هول العاصفة • لكن ماذا يهمني من هولها وأنـا جـالس فى بيت نوافذه مغلقة • لكن ما هاته القطرات النازلة على تبللنى كعصفـور أجـرب ؟ البيت بلا سقف اذن • نعم لقد طار ليلة زفافي • فكرة ملعونة أتاني بها أبى الرجيم • كنت بمكتبي ، وكان الوقت مغربا • تقدم نحوى فى جدية مشلولة وقال لى : « ابنة الحلال يا ابن الحلال لتنجب أبناء الحلال ليعيشـوا فى عـالم الحلال » • السيال الدجال المحتال • قلت له : « قتلك حلال يا من فرض على كلمة أبى • الحلال يا أنت ، تفاحة الجنة التى ما وجدت قط فى شجرة عروقها فى الطين وفروعها فى أوكسجيننا • كم أنت محتال رغم أن حيلة أبى الفتح الاسكندرى كانت ايجابية ، ولولاها ما كان كائن ، وما كانت كان وأخواتها ، وما كان العالم • أى ما كنت أنا وما كنت أنت • علم يعلم علما عالم معلوم • « وحيدة » افتحى الراديو ••• « جرون ومعلوم أن السلط الاسرائيلية قامت بهجومات ••• » أسكت يعطك بكشة ! حادث السلط الاسرائيلية معلوم ، وما الحاجة لاعلامنا به اذن • تعلمنى بمعلوم • اشترى منك سلعتى • هه • ما اللا رويق ! معلوم أو معلم • هلكك الله يـا معلمـا جنى على ونكل بى ، إذ كلما نطقت فى القسم سلط على قدر مسطرته الطويلة • أذكر أننى قلت له فى يوم ربيع : لم لا نطلق على شخصه لفظة معلم عوض معلم ، انهال يركلنى ركلا قويا لم أفهم سببه آنذاك لكننى الآن فحسب أى عندما انطلق أبولـو ١٥ الى ••• ادركت كل شيء • عرفت أقنوم العالم الذى سيبعث ، بعث يبعث بعثا وبعثة واستبعاثا وانبعاثا وأبعوثة وإبعاثة وهات ••• ليتنى أقدر على بعث جدتى المسكينة لتقص على قصة الحشر والنشر وما تخللها من حكاوى الغش والقش التى نقلتها بتصرف ــ طبعا ــ عن العالم العلامة الفاهم الفهامة القدارة الجزارة الكسارة النجارة الطهارة النحـرير رئيس التحـرير وصـاحب الحلط والتدبير ومؤسس وكالة الحمير الانسان معلم البيان ، الكـافر بالنسيـان ، سيول القصص ، وشلالات حكاوى تتراكم فى قعر النهر لتتـلاشى ليبتلعهـا

التراب الأغبر فحرب داحس والغبراء وقعت فى الجاهلية المعلومة التى اشتبكت فيها عبس وذبيان وتطاير فيها الغبار • وحرب البسوس كذلك • وهل يهمنى أن أقدم الاولى أو أؤخرها ما دامتا قد وقعتا وتطاير الغبار • وكم كنت أظننى فى حضرة أبطالهما كلما دخلت حانوت نجار يعمل فى حومتنا ، لا يملك من الآلات سوى منشار وتسترة ومطرقة هزيلة ، ومسمـارين • كان يقـول لى دائما : مسمار جحا أروع ما تجاهلت دائرة معارفديدرو وأصحابه من ذوى الاختصاص فى الحدادة ولا غرابة فى هاته النسوة اذ كان يظن هو الآخر أن مسامير الغرب أرقى – هى الاخرى – وأشهر وأعظم وأنبل ••• لذلك عبد النبل فمات فى محراب الشوق شوق اليك أتابيه وصبابة وغـرابة وحمـاسة ودناءة وخساسة وحقارة وغباوة جعلتنى أهيم بأحلامى ناسيا أنها ظلى والتف بالبخار ناسيا أنه عمرى • كم أنا مشتاق الى أن أخاطب حبيبتى • إجـرام ، خطيئة ، ذنب : كهل مثلى ليست له حمامة تسجع له فيشعر لها • ما أجملك يا عزيزتى سهام• قولى ما هو العمر ؟ أليس بخارا تلتهمه بنهم خيوط الحرارة• (•••) • قولى هل لك عمر ؟ (•••) ، كم طوله إذن ؟ (•••) • تمامـا هذا اعتقادى •

العاصفة تشتد ، والشارع مقفر والمطر كف عن النـزول • وقتئذ التفت يمنة وشمالا فاذا أنا فى « وكالة بن نقاز » المهدمة يتقاطر منى لعاب السماء • أين بيت زفافى ؟ ماذا جرى لى ؟ الفيستة والسروال أمتاع شانطى ، السورية كيكى متاع شواش ، السبيدرى نصف قصبة •••؟؟؟ أين كسوتى البلومارين التى استعملتها ليلة الدخلة ؟ ما اسم زوجتـى ؟ نسيت • ما اسم عائلتهـا ؟ نسيت • ما هو موطنها ؟ نسيت • ماذا جرى ؟ لا يهم ان عجزت عن الجواب فحسبى أننى عرفت أننى عاجز عن الجواب • سرت وحـدى ومعى العـالم • السبيدرى أرهقنى • نزعته وضربت به نافذة فيلا أنيقة محترمة باحترام • تكسر الزجاج فمضيت أجرى كالطفل الأعرج ثقيلا كالوهم • الصمت صامت • الشارع الطويل ما زال طويلا يمتد أمام ناظرى • عكازاى قضمهما القـدرون اللعين • استندت عليهما لأجلس على الطوار مهلهلا ، تعبا ، متهالكا ، متذمرا • التفت خلفى فاذا الشارع المقفر الطويل قد اكتظ بجمهرة يتفاوت سنها تفاوتا ملحوظـا فيهـا الـرضيـع ، والحـافى ، والمتعثـر ، والمـاشى ، والجـارى ، والراكض ، والداب ، والمتوكىء • اذا تكلمت تكلمت ، وان صمت فعلت ؟؟؟

– أنـا أنـا
– نحن أنت الأمس وأنت الآن
– أنـا واحـد
– نحن أبعـاضك

ـ أنـا مفـرد مذكـر
ـ نحن مفـرد مذكـر

عدت بروحى ألبسها ثوب الذكرى • ثم هتفت بعد أن استلقيت على ظهرى : يا انا ، هل أنت حقا جمهرة كلما ازددت يدما أزدادت عددا ؟ ثم سرت وسارت خلفى ابعاضى فى سماط فيه الوعوعة وفيه البكـاء وفيه الغصة وفيه البحـة وفيه القهقهة وفيه الترنم وفيه الحسرة وفيه ••• سار السماط فى قلبى كما تسير جمهرة شريرة طيبة عالمة جاهلة ، مذنبة محسنة فى هذا العالم الفـارغ الملآن • وضاع قلبى فى جسدى • هذا الجسد الذى كثيرا ما قال لى أبى أنه يشبه الى حد بعيد جسد أبيه • هو يحبنى حبا افلاطونيا لانه يرى فى أبـاه بلحمـه وعظمـه ودمـه وجلده وحكمتـه وركاكتـه • أبـدا لا بد أن أثـور عليه لأننى لست أشبه أباه فى شىء • طفرت الدموع من عينيه • أذكر ذلك جيدا • لكننى لم أتردد أن قعقعت فى مسمعه : انت نذل يا أبى • أف لك • تنح عنى • أحبـك يا أبى • أعبـدك • أقـدسك • أركـع لـوطءة قـدمك • أنت الحب • أنت عمرى • بعدك نار• قربك نار • حياتى عذاب • أنت النعيم والنسيم والنديم والنديل • أنت نحيل ، أجرود ، أملود ، خندود ، شهلول ، أشهل » العيون شهل • عجبت ولكن لم اعجب من عالم الهرر • صاحب العيون الشهل ، صاحب المبتدإ والخبر ثلث طبل وربع هرة وخمس مرحاض • طبل معلق فى مسمار • هرة تروم وصله • حاولت وكيف لا تحاول والاستاذ النزيه الذى نحر الشبح الاسود الذى يطارده كل لحظة فى صحـراء الواقـع يتـرك الفرصة لتلميذه ليحاول هو الآخر • حاولت الهرة الا أنها سقطت فى بـؤرة المرحاض • استحمت وماتت طاهرة كخالتى : صامت شهر رمضان كله • كان اليوم جمعة ••• سبت ••• لا •• جمعة •• نعم جمعة • وكانت جالسة على الحصير تصغى الى هراء سيدى المدب الذى لا ينفك يروى لها قصة الامام المهدى المنتظر • ثم قامت لتصلى • وما ان سجدت حتى بقيت مغـروسة فى الارض كالقرعة • ماتت طاهرة لتقابل ربها ، بل لتقابل ربنا الكريم السميع العليم • بكى المؤدب خالتى بكاء مرا فلما سألته قال : ماتت المرحومة قبل الغـروب ، قبل نزول الملائكة الى الارض الدنيا • قلت لماذا ••• أو تنـزل المـلائكة عند الغروب من كل يوم • قال يتحدانى : ما أجهلك • ألا تعلم أن الليلة ليلة القدر تنزل الملائكة فيها لتواسى منكوبى الحياة !••• حملقت فيـه مليـا وقلت له مخاطبا ثلثه : رحمك الله رب العالمين يا خالتى • مت قبل الغروب موعد القبل والاحتضان والدردشة • دفناها وحكمت علينا أمى بأن لا نأكـل القـرع ولا نشتريه لأنها لا تحبه • لانها وجدت فى قرعة كبيرة مهجورة فى زاوية البيت فار بسباطة • هل غادر الشعراء من متردم ؟ هل ردم الشعرء الغدر ؟ هل غدر الشعراء الردم • الشعراء فى حاجة الى الردم والركل والصك والشتم • قال

الله تعالى وتبارك : و « الشعراء يتبعهم الغاوون » صدق الله العظيم • لكن ذنب من يا ترى • ذنب السائم من الحياة الذى وجد العلة فانتحر بها ، أم ذنب الطبيب الذى أخترع العلة ؟ على كل كلاهما هائم ، وكلاهما فى فلك سابح ، يدور فى المجرات وحولها وحولها الزنوح • كلاهما يدور حول القمر لينـزل فيه ، لكن بعد التحرى اذ ربما يلاقى حتفه فيه • هل فى القمر موت ؟ الامر سهل وعسير على الانسـان أن يسبـق الله الى القمـر • واذا نجـح وأقبـل عليه هذا الاخير ليطأ القمر فليطرده حالا لأن القمر ملك الانسان •

مضت ألف سنة • نحن الآن فى القمر • الارض القفراء هجرها الانسـان لجدبها • القمر عامر بالسكان الذين لا يعرفـون المـوت • وذات يـوم وقعت الحادثة • اهتدى الله أخيرا الى القمر وعثر على الانسان وجرى الحديث التالى :

ـ أيها الانسان أنت هنا !•• ألف سنة ونيف ما •••

ـ ما زلت فى هرائك تعد الحياة بالسنة والقرن !••• أنا هنـا لا أعـرف الهرم ولا الشيخوخة ولا المرض ولا الموت •••

ـ من أذنك بسكنى القمر ؟

ـ أنـا •

ـ ومن أنت ؟

ـ قـوة وفعـل •

ـ لكن من خلقـك ؟

ـ خلقت نفسى : هامت القدرة بالفعل فتداخلا •

ـ ••!!••

ـ لا تعجب •

ـ سلام عليك يا أحسن ما خلقت يـوم خلقتـك لتكملنى ويـوم قتلتـك لتحيينى •

ـ سلام عليك يوم خلقتنى لتقتلنى ويوم قـررت لاخلـق نفسى • لاقتل نفسى ، لاقتل الموت • لاقتلك يا أنت •

ـ أتجـرؤ ؟

ـ كيف لاوأنا اليوم فكرة لا مرئية ستظل تبحث عنها حتى تقتل نفسك من أجل الحصول عليها لانها ليست منك فى شىء •

ـ ما أجملك أيها الانسان • أحبك لانك مارد جبار • هنيئا لك ••• فانت الآن رب نفسك • ولا حاجة لى فى البقاء بجانبك ••• ها أنا أعود الى الارض لاصنع خليقة أخرى تكملنى •

ـ قبل أن تغادرنا دون مطرود ، اعلم اننى لست الانسان بل الفكرة •

أضواء الفكر

حول مؤتمر الادباء العرب المنعقد ببغداد

نورد فيما يلي ـ تعميما للفائدة ومن دون تعليق ـ مقالين حول مؤتمر الادباء العرب الذى انعقد مؤخرا ببغداد ٠

الادبـــاء يلعنـــون أنفسهـم فى بغـداد

ففى مؤتمر الادباء القيت ابحاث طويلة ٠٠٠ وكلمات كثيرة ، وكانت تبدأ عادة بعبارة واحدة : اننا انهزمنـــا ٠٠٠

هذه البداية نعرفها جميعا قبل ان نجيء الى بغداد ٠ ومن العجيب ـ وليس عجيبا ـ ان اكثر الذين يتحدثون عن النكسة وعن الهزيمة والبكاء عليه مواطنون من بلاد بعيدة عن موقع المعركة بالوف الاميال ٠٠٠ ولكى يبرروا هذا الغضب الذى يبعث على الدهشة يقولون اننا وضعنا كرامتهم فى الوحل ، لماذا ؟ لاننـا نحن انهزمنا ، (وهم) لم يكونوا يتوقعون ذلك ! تماما كما يسقط امامك انسان جثة هامدة ، فيكسر لك فنجان قهوة ثم تغضب انت لانه عندما سقط كسر لك كوبـــا من المـاء !

ولا استطيع ـ ولا احب ـ ان انقل هنا ما قاله كل الادباء ولا كل الشعـراء ٠٠ ولكن بعضهـم يكفـى ٠٠

مثلا الكاتب اللبنانى د٠ سهيل ادريس ٠٠ هاجم وشتم ، ولعن ، واتهمنـا بالجهـل ، ولذلـك انهزمنـــا ٠

اما شاعرنا صالح جودت فقد بدا قصيدته بالغزل فى بغداد ، وبصوتـــه الرقيق الهامس اخذنا الى غراميات بغداد ٠٠٠ وانتقل ـ طبعا ـ الى النكســـة ولابد انه كان يقصد د٠ سهيل ادريس عندما طالب ان يعتز لبنان بعروبته !٠٠

وشاعرنا محمد التهامى معروف فى العراق هو ايضا بغزله الشديد لبغداد وقد سمعت من محافظة كربلاء ان الناس معجبون بالشاعر لقوة صوته وحسن ادائه وعروبته ٠٠ وصفق له الناس كثيـرا ! ٠٠٠

اما شاعرنا محمود حسن اسماعيل فقد عرفت منه ان قصيدته مائة بيت وانه اتى بشيء جديد ، والقى قصيدته وخشينا عليه من شدة الحماس ان يفقد صوته · وقصيدته مليئة بالصور ولكن من الصعب ان يتابعها المستمع ولذلك فهي قصيدة للقراءة وليست للاستماع ··

ثم شاعرنا محمود غنيم من المدرسة التقليدية ، فالاداء مدرسي ، والنظم مدرسي ايضا ، ولكنه كان **مجيدا** ·

وشاعرنا الفلسطيني ابو سلمى قد استمعت اليه قبل ذلك في غزة ، وهزني وهز كل الادباء وابناء فلسطين السليبة ، وكان قوي الاداء ملتهب **العبارة حادا عنيفا ··· مريرا عميقا** !

اما شاعر العراق محمد مهدي الجواهري الذي جاء من اوروبا لليلة المهرجان فقد ارتدى طاقية على شعره المنكوش ··· وصفق له الشباب طويلا ويبدو ان الرجل قد نسي – ويقال تناسى – الغرض من المهرجان فراح يعبث ويلسع يمينا وشمالا ، ويقبل الاقدام ويلعن الايام ··· لقد بلغ الشاعر **من العمر مرحلة** تثير الاشفاق ولكن موقفه يثير الضحك ! ···

والشاعر العراقي مصطفى جمال الدين ، وهو من رجال **الدين الشيعة فقد** كان مفاجأة فنية ، وربما كان هو الشاعر الوحيد الذي القى **قصيدة تتوافر لها** كل شروط العمل الفني ، وشروط المناسبة التي اقيم فيها المهرجان ··· وكان ذكيا رائعا ممتعا ، واستحق بجدارة كل هذا التصفيق من كل **الايدي الناعمة** والخشنة ، ايدي الشيعة وايدي السنيين !

اما شاعرة العراق نازك الملائكة فلا بد ان شيئا غريبا قد طرا عليها ، من المؤكد انها كبرت ، وانها اصبحت اما لعدد من الاطفال ، وانها عندما سهرت في المهرجان حتى الساعة الواحدة صباحا قد ضاقت بذلك ، **فليس في المهرجان ما** يستحق ان تترك له بيتها واولادها واهلها ، **وهي قد وضعت منظارا غليظا على** عينيها ، وقد ذهب صوتها ايضا ، **والذي يراها لا يصدق انها الشاعرة الثائرة** على الشعر القديم ··· ولكن يظهر ان نازك الملائكة قد **قالت كل ما عندها في** السنوات الاولى من حياتها ، ولم يعد لديها شيء **جديد تقوله ، فالمرأة الاديبة** قصيرة العمر من الناحية الفنية ، ومثلها فعلت **اديبات اخريات : فرانسواز** ساجا وليلى البعلبكي وغادة السمان وكوليت خوري وليلى **عسيران ·· فقد** اصدرن عملا فنيا واحدا ، وجاءت اعمالهن الاخرى تكرارا وتفسيرالهذاالعمل··

وتمنينا الا تظهر نازك الملائكة ، **والا تقول لابصوتها ولا بصوت غيرها !**

والمجال لا يتسع لذكر كل الشعراء ولا حتى لاختيار عينات من قصائدهم وربما فعلت ذلك فيما بعد ! ٠٠٠

ومن الغريب فى امر هذا الشعر وهؤلاء الشعراء انهم جميعا يبكون ٠ وانهم يجعلون دموعهم موسيقية ٠ ويصفق الناس للموسيقى وينسون المعنى والمعنى كله شتيمة فى الشعراء وفى الذين يستمعون الى الشعر٠ومن الغريب ان الناس يطلبون المزيد من الموسيقى ـ أى المزيد من الاهانة والشتيمة لانفسهم !٠٠

انه اذن ـ حب العذاب وحب الهوان ٠٠ ان الشعراء يدينون بوجودهم الى هذا (الحب المريض) عند معظم الناس : حب الذى يعذبك بالفاظه الجميلة وموسيقاه الحزينة ٠

ولو تنبه الناس الى ذلك لبكوا بدلا من ان يضحكوا ، ولا حنوا رؤوسهم بدلا من ان يصفقوا ٠٠ ولشنقوا الشعراء٠٠ولكنها المآتم : فلا احد يضرب النادبة٠٠ ولا احد يدفنها مع الميت ٠٠ ان الناس يستأجرونها ويختارونها !

ولا بد ان رجال الدين اكثر تسامحا من الشعراء المتحررين من الدين ٠٠٠ فقد استمع رجال الدين من يشتمهم ويسب دينهم وارضهم وسماءهم واولياءهم ولـم يردوا !

وكان الشاعر العراقى الكبير الرصافى يسخر من القيود على الكـلام ٠٠٠ ويطلب من الناس جميعا ان يسكنوا وينامو ٠ يقول الرصافى سنة 1922 :

يا قوم لا تتكلموا
ان الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا
ما فاز الا النوم
وتأخروا عن كل ما
يقضى بان تتقدموا
ودعوا التفهم جانبا
فالخير الا تفهموا !

ولو عاش الرصافى لطلب الى اكثر الادباء والشعراء الا يتكلموا لانه لا اقل من ان يفهموا !

انيس منصور (اخبار اليوم ـ مصر)

عـــرب نحـــــن ،،،

كذلك تقول الجغرافيا ٠٠ ويقول التاريخ ٠٠ وتقول اللغة التى نصوغ بهـا افكارنا ، ونعبر بها عن وجداننا ومنطقنــا ٠٠٠

عرب نحن ٠٠٠ اختيارا ، او اضطرارا ، ولكننا عرب ، ولن نكون غيرهم الى الابـــــد ٠

ذلك منطق الواقع وحكمه ٠٠٠ وذلك قدر فى هذه الدنيا ٠

من هنا كان حرصى على ان اتعرف على هذا العالم الذى يسمونه « العالم العربى » بكل وسائل المعرفة الممكنة بالدراسة وبالرحلات ، وبالكتاب والمجلة والصحيفة ، وبالصداقات والخصومات ٠

وبالمؤتمرات احضرها ، من القمة الى القاعدة ٠٠٠ ولكنى لم اتمكن من حضور اجتماع للأدباء العرب الا فى هذا العام وفى مؤتمرهم السابع الذى انعقد فى بغداد فى التاسع عشر من شهر ابريل الماضى ٠

ولقد تهيبت فى النهاية وبضاعتى فى الادب زهيدة ، وصاحبنى التهيب منذ ان استلمت دعوة الحكومة العراقية الى ان اخذت مقعدى فى المنصة استمع الى رجال الفكر العربى يتحدثون عن الاديب العربى المعاصر ٠ وعن المعركة التى جعلوا كل شيء من اجلها شعارا للمؤتمر ٠ فاذا بى اتخلص من تهيبى كالنائم يصحو عن حلم مزعج ٠٠٠ وإذا بأشقائنا العرب سواء ٠٠٠ لا فرق بين رجل السياسة ورجل الفكر ٠٠٠ ينهلون من مورد واحد ، تأسرهم الكلمة الرنانة ، وتهتز اعطافهم للشعار الجميل ، وكان الهزيمة الحزيرانية او اليونيوهية لم تكن كافية لترج الفكر ، وتزلزل الكيان ٠٠

وانطلق صوت المغرب ليوضح لهم فى بساطة ، ان الاديب المغربى لم ينزلق الى هاوية الغموض والابهام وترديد الشعارات ليبتعد عن مشاكل المجتمع العربى الحقيقية ٠ وان الادباء فى المشرق العربى الفوا ان لا يعالجوا القضايا القومية والانسانية الا اذا صدرت لهم الاوامر بذلك ، فانقلب الاديب الى آلة طيعة فى يد اجهزة الاعلام العربية ، يعبث بها كيف يشاء ، وبذلك فقدت الكلمة العربيـــة صدقها واشراقها ٠ واخذ المواطن العربى يكذب كل ما يسمع وما يقرأ ، فقد اكتشف الانسان العربى انه كان ضحية للمذياع ، والتلفزة ، والصحيفـــة والكتاب قبل ان يكون ضحية العدوان الصهيونـــى ٠

كان الكاتب العربى ، اسيرا للوصاية التى فرضت على فكره وثقافته وانتاجه بينما نؤمن نحن انه لا فكر بدون حرية ، ولا كرامة بدون حرية ولا حرية ولا كرامة بدون مسؤوليـــــة ٠

فما الحرية التى نطالب بها للاديب العربى ؟٠٠٠ لقد مر العالم العربى بكثير من التجارب ، وخبر عددا من النظم والمذاهب فى السياسة والحكم ٠ فهل اثبتت هذه النظم والمذاهب انها صالحة للفرد العربى ؟ ٠٠٠ ام انه برغمها ما يـزال ضائعـــا تائهـــا ؟ ٠٠٠

موقف بسيط ، وكلمات واضحة ، واسئلة موضوعية ، كان يجب ان يسمعها الادباء العرب ، وسمعوها ، وكانهم يسمعون شيئا جديدا لا عهد لهم به ، او قدمعهدهم به فى احسن الاحتمالات ، واذا بهم ينتفضون افرادا وجماعات٠٠٠٠ وطنيون وقوميون، وبعثيون، فرقتهم الشعارات والمذاهب والمعتقدات، وجمعتهم الدعوة الى حق الانسان العربى فى ان يختار بدون وصاية ، وان يفكر بـــدون الزام ، وان يعبر عن اختياره وفكره بحريته الفطرية التى رضعها اجداده فى لبان النياق فى الصحراء منذ ءالاف السنين ٠

واذا بهم الانسان العربى على حقيقته الاصيلة ، حتى الشاعر العراقى الكبير محمد مهدى الجواهرى المتهم بعراقة انتمائه الشيوعى ، سجل دعوتنا الى الحرية فى قصيدته التى القاها فى مهرجان الشعر عقب المؤتمر

وانتهى المؤتمر بتوصيات غير قابلة للتنفيذ ٠٠٠ وبدراسات سريعة يغلب عليها طابع الاستعجال والسطحية ، ولست مغاليا اذا اكدت انها دون مستوى ما قراته من دراسات قدمها الادباء المغاربة الى مؤتمر طرابلس ،

محمد التازى (ملحق العلم الادبى - المغرب)